كَلِماتٌ في التربيةِ والمَنهَج (١)

٤ ريال

رُؤيَة واقعيّة في
المناهج الدعوية



كتبه

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد
الحلبي الأثري

دار المنار للنشر

وما من كاتب إلا سيفنى .:. ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء .:. يسرك في القيامة أن تراه



الناشر
دار المنار للنشر
ص. ب ١٢٨١ الخرج ١١٩٤٢
هاتف ٥٤٤١٩٧٣ (٠١)

تصميم وإخراج دار الحميضي للنشر والتوزيع
ص. ب ٣١٠٦ الرياض ١١٤٧١ تلفاكس ٤٣٥٧٨٠٢ - ٠١

كَلِماتٌ في التربيةِ والمَنهَج : «١»

رُؤْيَةٌ واقِعيَّةٌ في الْمَنَاهِجِ الدَّعَوِيَّة

كَتَبَهُ

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد

الحَلَبِيّ الأَثَرِيّ

أموت ويبقى كل ما كتبته ∴ فياليت من يقرأ كتابي دعاليا
لعل الإلهى أن يمن بلطفه ∴ ويرحم تقصيري وسوء فعاليا

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ - ١٩٩١م

أجيز من وزارة الاعلام برقم ٣٢٨٣
وتاريخ ٤/ ٩/ ١٤١٢هـ

تقـــــــديم

الحـمدُ للهِ حَقَّ حَـمْدِه ، والصلاةُ والسـلامُ عـلى نبيِّه وَعَبْدِهِ، وعلى آلهِ وصَحْبـِهِ وَوَفْدِهِ .

أمَّا بَعْدُ :

فـهـذا هُو الجُزْءُ الأَوَّلُ مِن سِلْسِلتي العِلمـيّةِ الدَّعـويّةِ الـتربـويّةِ الجـديـدة : «كـلماتٌ في الـتربـيـة والمَنْهَج» ، وهو بـعـنـوانِ: «رُؤيـةٌ وَاقِـعـيَّـةٌ في المناهِج الدَّعـويّة» عـسى أن يكونَ فاتحةَ خَـيْـرٍ ، وبدايةَ صلاحٍ وإصلاحٍ .

وسَيَتْلُو هذا الجُزْءَ ـ بمنّةِ اللهِ وتَوْفـيـقـهِ ـ أجـزاءٌ أُخرى تَلْتَقي جميـعُهـا على هَدَفٍ واحـدٍ هو تَسديدُ النَّظَر ، وتَقْويمُ الفِكْر ، وتَقْعيدُ المَنْهج .

مِن ذلك :

٢ـ قَبُول الحـقِّ بين الدَّوافِع والمَوانِع .

٣ـ المُؤْتَمَن في حِفْظِ الوَقْتِ وقـيمةِ الزَّمَن .

٤ـ حِلْيَةُ الكتابِ وبُلْغَةُ المُطالع .

٥ـ عِلْمُ الكتابِ والسُّنَّة ودورُه في بناءِ الأُمَّة .

٦ـ التَثَبُّت وأَثَرُهُ في استِقْرار المُجْتَمع الإسلاميِّ.

٧ـ الاستقامةُ وأَثَرُها في تَحقيق العُبوديَّة .

٨ ـ التَّزْكيةُ ودَورُها في بناءِ الأُمَّة .

٩ـ التعصُّب وآثارُهُ السَّيِّئةُ في المُجْتَمع الإسلاميِّ .

١٠ـ بُغْيَةَ الوُعاة في تَرشيدِ الدُّعاة .

... وغَيْرُ ذلك مِن أبحاثٍ علميَّةٍ ، وكلماتٍ منهجيَّة؛ لعلَّ رَبِّي ـ سُبحانَه ـ يُصْلِحُ بها ويَنْفَع ، ويُسَدِّدُ مِن خلالِها ويَهْدي .

واللهُ المُوَفِّقُ لا ربَّ سِواهُ .

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لِلَّه نحمدُه ونستعينُه ونستغفره ، ونعوذُ بالله مِن شُرورِ أنفسِنا وسيِّئات أعمالِنا ، مَن يهده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلل فلا هاديَ له .

وأشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له .

وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولهُ .

أمّا بَعْدُ :

فإنَّ أَصْلَ هذه الرِّسالةِ مُحاضَرَةٌ كنتُ ألقيتُها في طَيْبَةَ الطَّيِّبةِ ـ مدينةِ النبيِّ ﷺ ـ في شهر جُمادى الأوّل هذا العام (١٤١٢هـ) في جَمعٍ مُبارَكٍ ـ إن شاءَ اللهُ ـ مِن الشَّبابِ السَّلَفيِّ الحريصِ على طَلَبِ العلمِ ومعرفةِ الحقِّ .

فَلَمّا سَمِعَها إخواني أَلَحَّ كثيرٌ مِنهُم عليَّ أَنْ تُنْشَرَ في رسالةٍ مُفْرَدةٍ ؛ رغبةً في تَعْميم الخَيرِ ، ونَشْر الفائدةِ ،

حتّى إنَّ بعضهم - جزاه اللهُ خيراً - أراد نَسْخَ شريطِ التَّسْجيلِ على أوراقٍ ثم تَوْزيعَه كما هُو !

فوافَقَ كُلُّ ذلك رأيي ورَغْبتي ، فسارَعْتُ - لَمّا استقرَّ قراري في داري - إلى استِجماعِ أفْكاري وتَدْوينها في هذه الرسالة التي بين يَديكَ - أخي القارىء - مَعَ زياداتٍ عدّةٍ حَصَلَتْ بالتَّأمُّلِ والنَّظَرِ والتتبُّعِ .

.. وموضوعُ هذه الرسالةِ - كما يظهرُ مِن عنوانها - مُتَعلِّقٌ بالدَّعوةِ إلى اللهِ سُبحانَه ، هذه المهمّة الشريفة التي هي جُزْءٌ عظيمٌ مِن ميراث الأنبياءِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم :

﴿قُل هذه سَبيلي أَدْعو إلى اللّهِ على بَصيرةٍ أنَا وَمَن اتَّبَعني وسُبْحانَ اللّهِ وَمَا أنَا مِن المُشْرِكين ﴾ .

﴿ وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يدعونَ إلى الخَيْر وَيأْمرون بالمَعْروفِ وينْهَوْنَ عن المُنْكَر﴾[1] .

---

(١) انظر في بيان الوجه الصحيح لِمَعْنى هذه الآية الكريمة كتابي «الدعوة إلى الله بين التجمّع الحزبي والتعاون الشرعي» (ص ١١٤ - ١١٨) وهو مِن منشورات مكتبة الصَّحابة - جُدَّة .

فلمَّا اشْتَغَلَ الكثيرُ مِن الشَّباب ـ ولله الحَمْدُ ـ بهذه المُهِمّة المُنيفة كان ذلك سَبَباً لاغترار عَدَدٍ كبيرٍ منهم ببعض المناهج الدَّعَويّة الحادثةِ الَّتي زَخْرَفَت أساليبَها، وَزَيَّنَتْ طُرُقَها، وَبهْرَجَت أبوابَها!

وإذ الأَمْرُ كذلك كانَ الواجبُ على مَن عنده معرفةٌ بمواطنِ الخَلَلِ أَنْ يُبيِّنَها بياناً يَشْفي الصُّدور، ويفتّحُ العقولَ والقلوبَ ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاس ولا تَكْتُمُونَه﴾.

وها هُنا أَمْرٌ تنبَّهْتُ إليهِ قبلَ أيّام ـ فقط ـ، وهو مُتَّصِلٌ بموضوعِ هذه الرِّسالةِ، والمكان الَّذي أُلْقِيَتْ فيه لَمّا كانت مُحاضرةً، فأَقولُ:

أمَّا الموضوعُ ـ وهو ما يتعلّق بالدَّعوة وبعضِ الانحرافات الطارئة فيها ـ: فإنَّه موضوعٌ أعرفُه قديماً وذُقْتُ مرارتَه كثيراً، فلم يَكُن وليدَ ساعتِهِ، أو تأَثُّراً بكلامِ (أُلْقِيَ إليَّ) كما توهَّمه أو أوهمه (بعضُهم)!

لا؛ فإنِّي ـ ولله الحمدُ ـ لستُ مِن النَّوع الذَّي يتأَثَّر (بواقعٍ) سَيِّءٍ يحرفُه عن جادّة الحقِّ وصراطِهِ القويم، وقواعده الواضحةِ الجليّةِ.

أَمَّا المكانُ ـ وهو المدينةُ النبويّةُ الطَّيِّبَةُ ـ: فإنِّي

لاحَظْتُ ـ كما لاَحَظَ غـيري ـ أنَّ عَدَداً مِن عُلَمائِهـا الأفـاضل، وبعـضاً مِن طُلاَّب العلمِ فيها ، هُم حامِلو رايةِ مُخالَفَةِ[1] هـذه المناهج الدَّعـوية (الحـادثة) الَّتي تلبسُ لَبُوساً يُرَقِّقُ القُلوبَ إليـها ، ويجلبُ (الشَّبابَ) نَحْوَها !!

فـلـمَّـا تَأَمَّلْتُ هـذا وذاك وَقَعَ في قَلْبي قـولُ النبي ﷺ : «المـديـنـةُ تَنفـي الـنَّاسَ ، كـما يَنْفـي الكـيرُ خَبَثَ الحديد»[2].

وفي روايـةٍ : «إنَّما المـديـنـةُ كـالـكيرِ ، تَنْفي خَبَثَهـا ، وينصعُ طَيِّبُها»[3] !!

ولـيـس مِن شَكٍّ أَنَّ مِن الخَبَثِ ـ وهو على دَرَجـاتٍ ـ مـا كـان مُتَّصِلاً بالدَّعـوةِ إلى اللـهِ ، ومـا هو منحرفٌ مِنْها وعَنْها .

قـال الحافظُ ابنُ حَجـرَ في «فتح الباري» (٤/ ٩٧) :

---

(١) وإنْ كـان في كـلامِ (البعضِ) منهم نوعُ غُلُوٍّ لا نرضاه ، نقولُ هذا إنْصَافاً وأمانةً .

(٢) رواه البخاري (١٨٧١) ومسلم (١٣٨٢) عن أبي هريرة .

(٣) رواه البخاري (١٨٨٣) ومسلم (١٣٨٣) عن جابر .

«والمَعْنى : أنها إذا نَفَت الخَبَثَ تَمَيَّزَ الطيِّبُ واستقرَّ فيها» .

وهكذا فإنَّ دعوة الحق ستتميزُّ ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ عن سواها مِمّا يُخالِفُها ، ولو كانت المخالَفَةُ مُبطَّنَةً ، والتغايرُ مكتوماً !! فالحقُّ أبلج والباطلُ لَجلَج !

.. وإذِ انتهى بيَ المقامُ إلى هنا في هذه المقدّمة ، ولكي تَتَّضِحَ الأُمورُ ، وتنجليَ الغوامضُ ، وتنكشِفَ المبهماتُ : أَبْدَأُ بالمقصود والمُراد ، واللهُ المُوَفِّق للسَّداد ، والهادي إلى طريق الرَّشاد .

وصلى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبهِ أجمعين .

وكتبه

أبو الحارث الحلبيُّ الأثريُّ

الزرقاء ـ الأردنّ

بعد صلاة فجر يوم الخميس ليومين

بقيا من شهر جُمادى الأوّل سنة ١٤١٢ هـ

مَدْخَلٌ

مِمّا يجبُ أنْ يكون (مدخلاً) لهذه الرسالةِ ذاتِ الموضوع المهمّ : تَوْضيحُ مسألتَينِ يخلطُ فيهما الكثيرُ مِن الدُّعاةِ ، سواءٌ مِنْهم مَن تأثَّر بشيءٍ مِن هذه المناهج الدَّعويّةِ (الحادثةِ) ، أو مَن كان مُعارضاً لها مِن غيرِ كبير وَعْيٍ ، أو دونَ عظيمِ تأمُّلٍ وتفكُّر !!

المسألة الأُولى : بين (العقيدةِ) و(المنهج) :

ليس مِن شَكٍّ أنَّ عَدَداً مِن دُعاة بعضِ هذه المناهجِ الدعويّةِ الحادثةِ هم مُشْتَرِكون مَعَنا في (أُصول العقيدة) ، بمعنى أنهَّم مُقِرُّون بالعقيدة وَفق طريقةِ السَّلَف في ذلك ، سواءٌ منها ما كان مُتَعَلِّقاً بتوحيد الألوهيّة ، أو توحيد الأسماء والصِّفات ، أو أبواب الإيمان ونحوِها .

وإنّما قلتُ : «في (أصول العقيدة) » ؛ لأَنَّ ثَمَّةَ افتراقاً في تَطبيق بعضِ تفصيلاتِ هذه العقيدة:

وَلْأَضربْ على ذلك مثالاً بـ «توحيد الأُلوهيّة» ، فبعضُ هؤلاء (الدُّعاة) يُفَرِّق بين «توحيد الأُلوهية» و«الحاكمية» ! وهذه ـ الأَخيرةَ ـ كلمةٌ أوّل ما نُقِلَتْ في هذا العَصرْ ضِمْنَ كتاباتِ أبي الأعلى المودودي وسيّد قطب، ومِن ثَمّ أخيه محمّد قطب ، ومَن جَارَاهُم !

فَأَخَذها (هؤلاء) عن (أولئك) فوافقت رَغَبَاتِ الشَّبابِ المُنْبَعِثَةَ مِن حماساتهم وعَواطِفِهم ، فَطَارُوا بها ، وجَعَلُوها عُنْواناً مِن عناوينِ (دعوتهم) ، وشعاراً مِن شعاراتِ (مَنْهَجِهم) !

ولو تأمَّل (هؤلاء) و (أُولئك) لَعَرَفُوا خَطَأَ اصطلاحِهم هذا مِن وجهين :

أ ـ أنه اصطلاحٌ حادثٌ لا ثمرةَ مِن ورائه، ولا فائدةَ تُجنى منه، إلاّ تضخيمَ (مسائلَ) على حسابِ أُخرى !!

ب ـ أَنّ (الحاكميّة) التي هي (عندهم) معنى قولِهِ تعالى : ﴿إِنِ الحُكْمُ إلاّ لله﴾ ، هي في الحقيقةِ جزءٌ مّما يَدُلُّ عليه شمولُ «توحيد الأُلوهيّة» بعمومِهِ ودلالاته كما هو ظاهِرٌ .

فهو تَـحْصيلُ حاصِلٍ ـ كما يقولون ـ !

إذ تـوحـيـدُ الأُلـوهـيَّةِ هو «الجـانبُ الأهمُّ مِن دَعَوات الرُّسل الذي عَرَضَـه علينا القُرآنُ ، فـهـو موضوعُ الصِّـراع الدائِر بينَهم وبين خُصـومِهم مِن المُسـتكبرين والمُعـاندين مِن كُلِّ الأُمَم .

ولا يـزالُ هـو مـوضـوعَ الـصِّــراع إلى الـيـوم ، ولعلّه يسـتـمـرُّ إلى يومِ القـيـامـةِ ابتلاءً واختِبَاراً لِوَرَثةِ الرُّسُلِ ورفعاً لمنزلتهـم»[١] .

وهذا التـفـريق بين «توحـيـد الألوهيـة» و «الحـاكميّة» جَعَلَ الأولوِيات عِند أصـحابهِ مُتضاربة !! كما قال المودودي في «الأسس الأخلاقيّة» (ص ٢٢) : «غاية الدين الحقيقيّة : إقامة نظام الإمامة الصالحة الرَّاشِدة» !

وهذا كـلامٌ لا سَنَدَ له ، «لأنّ غايةَ الدينِ الحقيقيّة ، والغـاية مِن خَلْقِ الجنِّ والإنس ، والغـايةَ مِن بعثةِ الرُّسل ، وإنزال الكتب هي عبادةُ اللهِ وإخلاص الدين له»[٢] .

---

(١) «منهج الأنبياء. .» (ص ٢٤) للشيخ ربيع بن هادي .

(٢) المرجع السابق (ص ١٠٨).

وهُنالِك أمثلة أُخرىٰ ، لعلَّ بعضَها يأتي في الكتاب إن شاء الله .

ومع ذلك ؛ فإنَّ صورةَ الافتراقِ تتبدّى ظاهرةً في (المنهج) والسبيل الذي يسيرُ عليه (أولئك) الدُّعاة إلى اللهِ لتحقيق شَأْنِ العقيدةِ وهَدَفِها .

وهذا هو مَكْمَنُ الخلافِ بين الدَّعوة السلفيَّة وغيرها مِن الدَّعوات الَّتي تتبنّى (العقيدة) وتُخالفُ في (المنهج) .

نَعَم،هُناك دَعَواتٌ أثبتَ التاريخُ المُعاصِرُ (فَشَلَها) و(إفلاسَها) ، مضى عَلَيْها ستونَ عاماً ، أو أربعون عاماً،أو خمساً ، أو عشراً . . وهكذا . .

فهذه الدَّعوات الخلافُ بيننا وبينها (عَقَديٌّ) و(منهجيٌّ) ؛ وليس كتابُنا هذا مُؤَسَّساً للردِّ عليها ، ونَقْضِ أفكارها وطرائقها !

وإنّما هذا الكتاب أَقَمْتُهُ ردّاً على مَن وافَقَنا في (أصل العقيدة) وخالَفَنا في (المنهج) الذي يجبُ سلوكُه والسَّيرُ على هُداه .

وَلِبَيانِ الفَرْقِ بين (العقيدة) و (المنهج) أقولُ :

قـال اللهُ تـبـارك وتعـالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِـرْعـةً وَمِنْهاجاً﴾ :

قال ابنُ عبّاس : «سبيلاً وسُنّةً»[1] .

قال ابنُ كثير في «تفسيره» (٢/ ١٠٥) : «هذا إخـبارٌ عن الأُمم المُخـتلفـة الأديان ، باعـتبار ما بَعَثَ اللهُ به رُسُلَه الـكـرامَ مـن الـشرائع المـخـتـلفـةِ في الأَحكامِ ، المتّفـقـة في التَّوْحيدِ» .

قـلـتُ : فـهـذه إشـارةٌ إلى وحـدة دعـوة الأنـبـيـاء في التـوحيد ، واختلافهم في الشِّـرْعةِ والطريقِ والسَّبيل .

وقـال جلّ اسمهُ : ﴿ثُمَّ جَعَلْناك على شريعةٍ مِن الأَمْرِ فاتَّبِعْها﴾ :

قال سُفيان بن حُسين : «على السُّـنَّة»[1] .

فـهـذه الـشريـعـةُ ذاتُ المـنـهـاج الواضحِ الذي نحنُ مَأْمـورُونَ باتّبـاعـه وامْتِثَالِه ، هي (سـبيلُ المؤمنين) الأَوْحَد ، الـذي نَصَّ الـقُرآنُ الـكـريـمُ عليـه بكُلِّ وضـوحٍ وبأَتَمِّ بَيَانٍ وَحَضّ عـلى اتِّبـاعـهِ ، ونَعَىٰ على مُخـالَفَتـهِ ، كما في قـولهِ تعالى :

---

(١) رواه اللّالكائيُّ (٦٦) والطبري (٦/ ٢٧١) .

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ .

«فهذا بيانٌ واضحٌ ، وحُجَّةٌ دامِغةٌ على العباد ، بوجوبِ اتِّباع سبيل المؤمنين .

ومَن هُم المُؤمِنون وقتَ نزول الآيةِ غَيْرُ الصحابةِ رضوان اللهِ عليهم .

وقد توعّد اللهُ مَن خَرَج عن طريقهم ، وسَلَكَ غيرَ سبيلِهم ، أن يتخلّى عنه في الدُّنيا ، وأن يُعَذِّبَه عذاباً أليماً في الآخرةِ»[1] .

وإذ نُؤكِّد على المنهج وأهمّيتهِ ، وأنه منهجُ الصحابة رضِي الله عنهم ، ومَن سَلَك سبيلَهم مِن التابعين وأتْباعِهم - وهم السَّلَف الصالحُ المُزَكَّوْنَ على لسانِ النبيِّ ﷺ[2] - فإنَّ ذلك لما جُبِلوا عليه مِن فَهمٍ

---

(١) «السبيل إلى منهج أهل السنة والجماعة» (ص ١٦) للأخ عدنان عرعور .

(٢) انظر كتابي «الأربعون حديثاً في الدعوة والدُّعاة» (رقم : ٨) .

الذين عايشوا الوحيَ، وشهدوا التنزيل ، فكانوا أقربَ الناس إلى مراد اللهِ تعالى، ومقصود الرسول ، ﷺ ، ومعرفةِ مدارِك الأحكامِ .

فعلى مِنهاجِهم نسيرُ ، وبضياء فهمهم نهتدي ، وإليهم ننتسبُ وندعو :

فَمِنْهاجُهُم الأناة في الدعوة ، والتواصي بالحقّ ، والالتزام بالصراط السّوي :

﴿قُلْ هذه سَبيلي أدْعُو إلى اللهِ عَلَىَ بصيرةٍ أنَا ومَن اتَّبَعَني وسُبْحان اللهِ وما أنا من المُشْرِكين﴾ .

﴿وأَنَّ هذا صِرَاطي مُستقيماً فاتَّبِعوه ولا تَتَّبِعوا السُّبُلَ فتفرَّقَ بكم عن سَبيلِهِ﴾ .

« وفهمُهم إليهِ المَرْجِعُ والمُنتهىٰ ، فهم أهلُ الفِطْرة والإيمان ، وذوو الفصاحةِ والبيان ، فالقُرآنُ جاءَ بلسانهم، ورسولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِم يُوَضِّحُ لهم ما يُشْكِلُ عليهم ويكشفُ لهم ما غَمُضَ على أذهانِهم ، ويُسَدِّدُ طريقَهم ودَرْبَهم .

والنصوصُ ـ في الكتاب والسنة ـ الدالّةُ على فَضْلِهم

وعُلُوّ قَدْرِهم قد تواترتْ ، وهذه المنزلة لم يَنالوها إلاّ بما لهم في السَّبْق في سُبُل الخير .

وقد جَعَلَ اللهُ تعالى لهم الإمامةَ في الدين لمنْ بعدَهم، وأثنى على مَن تَبِعَهم وسَلَك سبيلَهم .

وإنّما نال التابعُ الفضلُ لفضل المتبوع ، كما قال تعالى: ﴿والسَّابقونَ الأَوّلُون مِن المُهاجِرينَ وَالأَنصار والذين اتَّبَعُوهم بإحسانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تجري تَحْتَها الأنهارُ خالدِين فيها أَبداً ذلك الفَوْزُ العظيمُ﴾ »[1] .

قلتُ : هذه نُبَذٌ مِن فَضلِ منهج السَّلَف وتميُّزه عن غيره مِن المناهج الحادثةِ أو المنحرفةِ ، وأنّه قائمٌ على مُطْلَق التسليم لأمر الله ورسوله دونَ النظر إلى (مصلحةٍ) ، أو الالتفات إلى (استحسان) ، أو الارتكاز على (عاطفة) أو (حماس) أو (رأْيٍ) !!

وأدلّة ذلك مُتكاثرة مِن القُرآن والسُّنَّة، أكتفي ـ هنا

---

(١) «العقيدة السلفيّة في كلام ربّ البريّة» (ص ٢٥ ، ٢٦) للأخ عبد الله بن يوسف الجُديع ، بتصرف يسيرٍ .

ـ باثنين منهـا فيـهما بيـانٌ جَلِيٌّ للإطارِ العامِّ لذلك المنهـجِ السَّـوِيِّ :

أوّلاً : قـولُ اللهِ تعـالى : ﴿فلاَ وَرَبِّك لا يُؤْمِنونَ حتى يُحَكِّمـوكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهم ثُمَّ لا يجدوا في أنفسهم حَرَجاً مما قضيتَ ويُسَلِّموا تَسْليماً﴾ .

ثانيـاً : قـول رافعِ بن خَديج رضي الله عنه في حديثِ المُحاقَلَة : «نهانا رسـولُ اللهِ ﷺ عن أمـرٍ كـان لنا نافِعـاً ، وطواعيـة اللهِ ورسولهِ أنفعُ لنا» [1] .

قلتُ : فـبهذا ظَهَرَ ـ وللهِ الحمدُ ـ مُجْمَلُ الفرقِ بين (العـقيدة) و (المنهج) ، وأنّه قائمٌ على التسليم المُطْلَق ، فلا أُطيلُ !

ولـكـنّ هـا هُنـا أمـراً يجـبُ بيـانُه وإيضـاحُه وهو أنَّ استمرار الانحرافِ عن المنهج يُؤَدِّي إلى انحرافٍ في العقيدة نَـفْسِـها والتوحيد ذاتـهِ . .

والناظرُ في بعض الجماعـات (الدَّعـويّة) المُعـاصرة يرى دليلَ ذلك واضحاً !!

---

(١) رواه مسلم (١٥٤٨) .

«ومعلومٌ مِن فقهِ التربيةِ الإيمانيَّة ، أَنَّ اللهَ يُعاقبُ على الذَّنب بالذَّنب ، وهي أقسى صنوفِ العقوباتِ .

وهكذا عُوقبت الأُمَّة الإسلامية على انحرافها العَمَليّ والسُّلوكيّ ، بانحرافٍ أشدَّ منه في العقيدة والتصوُّر»[1].

واللهُ العاصمُ .

المسألةُ الثانيةُ : بين (أهل السُّنَّة والجماعة) و«السَّلَفيَّة» :

وَمِمَّا يُلاحَظُ على هؤلاء (الدُّعاة) أنهَّم يتجنَّبونَ وَصْفَ (دعوتهم) بـ (السَّلَفِيَةِ) مَعَ إقرارِهم وتَصْريحِهم بأنَّ عقيدتهم سَلَفِيَّةٌ !! وإنَّما يُشْهِرون ذِكر وَصْفِ دَعْوَتِهم بـ «أهل السُّنَّة والجماعة» ويُرَدِّدونَ ذلك ويُكَرِّرونَه في (محاضراتِهم) و(نَشَراتِهم) !!

وهذا ـ وإنْ لم يقصدوه ـ فهو مِن عظيم قَدَر اللهِ سُبحانه ، لِتَتَمَيَّزَ دعوةُ الحقّ عن كُلِّ ما شَابهَهَا ، ولِتتمحَّضَ عن كُلِّ ما يشوبُها أو يلبسُ لَبُوسَها !!

---

(١) «العلمانية» (ص ٥٠٧) سَفَر الحوالي .

وبيانُ ذلك أنَّ اصطلاحَ «أهل السُّنَّة والجماعةِ» إنّما ظَهَرَ «لمّا ذَرَّ الافتتانُ بالبِدَع ، فصار تميزُ جماعةِ المسلمين بالالتزام بالسُّنَّة ، فقيل لهم : (أهل السنة) مقابل : أهل البدعة ، وقيل لهم : (الجماعة) باعتبار أنّهم الأصل ، والمُنْشَقُّ بهوىً وبدعةٍ مفارقٌ لهم»[1] !

وأمّا اليومَ : فقد تنازَعَ مصطَلَحَ «أهل السُّنَّة والجماعة» أقوامٌ شتّى ، وجماعاتٌ عدّةٌ ، فترى كثيراً مِن الحِزْبيِّين يصفون جماعاتِهم وتنظيماتِهم بهذا المُصْطَلَح ، حتّى إنَّ عَدَداً من الطُّرُق الصوفيّة يفعلُ الشيءَ ذاتَه ، بل إنَّ الأشعريّة والماتوريدية والبريلويّة . . (وغيرهم) يقولون: «نحن أهل السنة والجماعة»[2] !!

بَيْنَما هؤلاء (جميعاً) يتحاشَوْنَ وَصْفَ أنفُسِهم بـ «السلفيّة» ! ويتجنَّبون الانتِماءَ إلى «منهج السَّلَف» نسبةً !! فضلاً عن الواقعِ والحقيقةِ !!

وهذا أمْرٌ (طبيعيٌّ) بالنسبة لنا ـ ولله الحمدُ ـ إذ مِن

---

(١) «حكم الانتماء» (ص ٣٥) للأخ الشيخ بكر أبو زيد .

(٢) وهذا مُوافق لواقعِهم ـ على حَسَب مُرادهم ـ حيثُ هم لا يُنكرون (السُّنَّة) ، وهم (جماعة) بل (جماعات) !! لكنّ مكمنَ النَّظَر ليس هنا !

المعلومِ عند دُعاة الكتاب والسُّنَّة بفهم سَلَف الأُمّة «أنَّ شِعَار أهل البِدَع : هو تَرْكُ انتحال اتِّباع السَّلَف»[1] ، لِمَا فيه مِن فَصْل النِّزاع بين فُهوم أهل العَصْر ، (!) حيثُ يُحَكِّم بعضُهم (عقلَه) ، ويُحَكِّمُ آخَرُ (تَجارِبَه) ، ويُحَكِّم ثالثٌ (عواطِفَه) !!

.. وهكذا .. مِن غير نَظَرٍ في (سبيل المؤمنين) الذي يجبُ اتِّباعُه والدّعوةُ إليه ، وهو ذاتُه نَهجُ سَلَفَ الأُمّة الذي إليهِ نَنْتَسِبُ ، وبضيائهِ نَهتَدي .

لذا ؛ كَان مِن «شِعار أهلِ السُّنَّة اتِّباعُهم السَّلَفَ الصالحَ ، وتَرْكُهم كُلَّ ما هو مُبْتَدَعٌ ومُحْدَثٌ»[2] .

فمن أنْكَر الانتساب إلى (السَّلَف) وعابه ، يُرَدُّ قولهُ ، ويُنقَضُ كلامُه ، إذ «لا عَيْبَ على مَن أظْهَرَ مذهبَ السَّلَف وانتسبَ إليه ، واعتَزىٰ إليه ، بل يجبُ قَبولُ ذلك منه بالاتِّفاق ، فإنَّ مذهبَ السَّلَفِ لا يكونُ إلاّ حَقّاً»[3].

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة» (٤/ ١٠٠) .

(٢) «الحجَّة في بيان المَحَجَّة» (١/ ٣٦٤) للأصبهانيّ .

(٣) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٤/ ١٤٩) .

وهذا كلامٌ عظيمٌ يجبُ تأمُّلهُ وفَهْمُه ، ودرايتُه وحِفظُه .

وبخاصّةٍ ـ في هذا الأوان ـ لمّا (تكاثَر)المدَّعون لنهج (أهل السُّنَّة والجماعة) ـ وهو في حقيقته وأصله وَصْفٌ آخَرُ مِن أوصاف «السلفيّة» ـ فكان الواجبُ التَّمَيُّزَ عن هؤلاء الأدعياء المُخالفين ـ إمّا للعقيدة وإمَّا للمنهج ـ بالانتساب إلى النَّهْجِ الذي لا (يَجْرُؤون) على (التصريح) به، و(الاستعلاء) بالانتساب إليه، لما فيه ـ حينئذٍ ـ مِن مُحاكَمةٍ لهم عليه، مُوافقَةً أو مُخَالَفَةً منهم لأساليب[1] الدَّعوة وغاياتها، أو في العقيدةِ والأحكامِ والتصوّرِ والسّلوك.

ويُقال ـ أيضاً ـ لذاك المُنكرِ أو هذا العائب:

إنَّ الانتسابَ إلى «السَّلف» والجَهْر بذلك باستعلاء على كُلِّ ما يُخالفُ الحقَّ مِن أُطُرٍ وتنظيرات، والصَّدْعَ بأنَّ دعْوة الحقِّ الأوحَد هي «الدَّعوة السلفيّة»: كُلُّ ذلك لاَ عَيْبَ فيهِ، ولا ضَيْرَ على قائليهِ، إذ (السلفِيَة) نسبةٌ إلى (السَّلَف)، وهي نسبةٌ «لم تنفصل ولا لحظةً واحدةً عن الأُمّة الإسلاميّة، منذ تكوُّنها على منْهاج النبوّةِ، فهي تحوي جميعَ المسلمين على طريقة الرَّعيل الأوَّل، ومَن يُقْتَدى بهم

---

(١) انظر لزاماً كتابي «الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي» (ص ٤١ ـ ٤٨)، فصل: (العَمَل الإسلامي بين الوسائل والغايات).

في تَلَقِّي العلم وطريقة فَهْمِهِ ، وبطبيعةِ الدَّعوةِ إليه ، فلم يَعُدْ إذاً محصوراً في دورٍ تاريخيٍّ مُعَيَّن[1]، بل يجب أنَ يُفْهَمَ على أنَّ مدلوله مستمرٌ استمرارَ الحياة»[2] .

ويُؤَكِّدُ ذلك ويُثَبِّتُه «أنَّها تحوي كُلَّ الإسلام(الكتاب والسنة) ، فهي لا تختصُّ برسمٍ يُخالِفُ الكتابَ والسنةَ زيادة أو نقصاً»[3] .

«ومِن المُلاحَظِ أنه لو كانت الأمّةُ في قالبِ الإسْلامِ الصحيحِ ، خاليةً مِن البدع والأهواء كما كان الصَّدرُ الأوّلُ ومُقَدّمُهُ السَّلَفُ الصالحُ ؛ لَغَابَتْ هذه الألقابُ المُمَيِّزةُ ، لِعَدَمِ وجودِ المُناهِض لها»[4] .

وعليه ؛ «فإنَّ عَقْد الولاء والبراء ، والمُوالاة والمُعاداة لدى (المنتسبين إلى السَّلَف) هو على (الإسلام) لا غير ، لا على رسمٍ بإسمٍ مُعَيَّنٍ ، ولا على رسمٍ مُحَدَّدٍ، إنّما هو (الكتاب والسُّنَّة) فَحَسْبُ»[5] .

---

(١) وفي هذا ردٌ لزعم البوطي في كتابه الأبتَر «السَّلَفيّة . . » أنّها «مرحلة زمانيّة . . » !!

(٢) «حكم الانتماء» (ص ٣١) .

(٣) «المرجع السابق» (ص٣١) .

(٤) «المرجع السابق» (ص٣٢) .

(٥) «نَفْسُه» .

وبهذا كُلِّه يظهرُ بوضوحٍ تامٍّ أنَّ معنى (السَّلَفيَّة) وحقيقةَ نِسْبَتِها ، أنها «نسبةٌ إلى السَّلَف الصَّالح ـ جميع الصحابة رضي الله عنهم فَمَن تَبِعَهم بإحسانٍ ـ دون مَن مالَتْ بهم الأهواءُ بعدهم مِن الخُلوفِ[1] الَّذين انشَقُّوا عن السَّلَف الصالح باسْمٍ أو رسمٍ ، ومِن هُنا قيل لهم: (الخَلَف) ، والنِّسبةُ : (خَلَفيّ) .

والثَّابِتون على مِنْهاج النبوّةِ نُسِبوا إلى سَلَفِهم الصَّالح في ذلك ، فقيل لهم : (السَّلَف) و : (السَّلَفيُّون) ، والنِّسبةُ إليهم : (سَلَفيّ) . . .

فهي نِسْبَةٌ ليس لها رسومٌ خارجة عن مُقْتَضى الكتاب والسُّنَّة ، وهي نِسْبَةٌ لم تنفصل لحظة واحدة عن الصَّدْر الأَوَّلِ ، بل هي منهم وإليهم .

أمّا مَن خالَفَهم باسمٍ أو رسمٍ فلا [يُعَدُّ منهم] ، وإن عاشَ بينَهم وعاصَرَهُم ، ولهذا تبرّأ الصحابةُ ـ رضي الله عنهم ـ مِن القَدَريّةِ و المُرْجِئَةِ . . ونحوهم»[2] .

---

(١) تأمّلوا رعاكم اللهُ مَن هم حَقّاً (الخلوف) !!

(٢) «حكم الانتماء» (ص٣٦ ـ ٣٧) باختصار .

«فـإذن : لا بُدَّ أن تَظْهَرَ ـ والحـالـةُ هـذه ـ أُسُسٌ وقـواعـدُ واضـحـةُ المعالم ، وثابتةٌ للاتّـجـاه السَّلَفيِّ حتّى لا يَلْتَبِسَ الأَمـرُ على كُلِّ مَن يُريد الاقـتـداء بهم ، وينسُجَ على مِنْوالهم»[1] .

أقولُ :

مِن أَجْلِ هـذا كُلِّه كـان لا بُدَّ مِن الـتـميُّزِ عن كـافَّةِ (الأدعـيـاء) المُعْتَزِيـن لـ (أهـل السُّـنَّة والجماعـة) بنسـبـةٍ لا يسـتطيـعـونها ، ولا يتـجـرَّؤون عليـهـا ، إذ فـيـهـا كَشْفُ انـحـرافِهـم ، وبيـانُ دَخَلِهم ، مُقـارَنَةً بـ (سـبـيلِ المؤمنين) و(نـهـجِ الـسَّلَف الـصـالحـين)، فـهـو المَحَجَّةُ الـبيِّنةُ بيقين، وطريقُ الصحابةِ والتابِعين .

وهـذا كـلُّه هـو صِـرَاطُ الهُدىٰ ، ونَـهْـجُ الاهْتِدَا ، ﴿فـلا يَصُدَّنَّك عنهـا مَن لا يؤْمِنُ بها واتَّـبَع هَوَاهُ فتَرْدى﴾ .

---

(١) «الصِّفات الإلَهية . . » (ص٥٨) للشيخ محمد أمان الجامي .

كَلِمَةٌ فيها بَيَانٌ

أَكْتُبُ هـذا الـكـتـابَ وكُلِّي أَمَلٌ أَنْ يـكـونَ لَبِنَةَ إصـلاحٍ، ونَـهْجَ سَدادٍ ، وسبيلَ خيرٍ . .

أَكـتبُ هذا الكتـابَ وقَلْبي يَـهْفـو نَحْوَ أولئك الشَّباب المُحِبِّ لدينِ اللهِ ، المُبتغي الخيرَ للأُمّة . . .

أكـتـبُ هذا الكتـابَ بقلبٍ خـافِقٍ . . ويدٍ مُتَرَدِّدةٍ . . ونَفْسٍ بالحُبِّ جيَّاشة . .

أكـتبُ هذا الكتـابَ بنيّةٍ ـ أَحْسبُهـا ـ صـالحة ، تُريدُ الحقَّ لِطُلَّاب الحقِّ . .

أكتبُ هذا الكتابَ مِن داخلِ (سُور) الدعوة إلى اللهِ، المَـحُوطةِ بنور العلم النبويِّ . .

أكـتبُ هذا الكتابَ بكلماتٍ فيها نوعُ حِدَّةٍ أو شِدَّةٍ . . لكنّهـا حِدّةُ الودود . . وشِدّةُ الحبيبِ . .

أكـتبُ هذا الكتـابَ . . راجياً أن (تَسَعَهُ) القُلوبُ . .

و(تستوعِبَه) العُقولُ .. و(تتقبَّلَه) النُّفوسُ ...

أكتبُ هذا الكتابَ لتكونَ (الدَّعوةُ) به صفحةً مُشرقةً ناصعةً سديدة .. هاديةً رَشِيدة ..

أكتبُ هذا الكتابَ بعد مُطالَعَاتٍ .. وتجاربَ .. ومُناقشات ..

أكتبُ هذا الكتابَ للدَّعواتِ كُلِّها .. والجماعاتِ جميعها ... لِيُقوِّموا أنْفُسَهم ... ويُراجِعوا حِسَاباتِهِم .. ويُسَدِّدُوا طرائقَهم وأفكارَهم ..

أكتبُ هذا الكتابَ وأنا أعلمُ أنَّ الحقَّ ثَقيلٌ .. ثَقيل .. لكنَّه عند أهلِهِ وطُلَّابِهِ .. مَريءٌ ..

أكتبُ هذا الكتابَ .. فِقْهاً (للواقعِ) .. وتَرْشيداً (للصَّحْوةِ) .. وتَقْويماً (لِلْمسَار) .. ونَقْداً (للأَفكار) ..

أَكتبُ هذا الكتابَ وأَنا جَدٌّ حَريصٌ على (وحدة) الكلمة ، و (رصّ) الصَّفِّ .. ولكنْ .. بالحقِّ وإلى الحَقِّ ..

أكـتبُ هذا الكتـاب . . وأنا أجـزمُ بلا ارْتِيَاب . . أنَّ فيه الخطأَ وفيه الصَّوَاب . . .

فـ «اللَّهـمَّ رَبَّ جِبرائيلَ وميكائيل وإسْرافـيلَ ، فـاطِرَ السَّمـواتِ والأرض ، عـالِـمَ الـغَيْبِ والـشَّهـادةِ ، أنـتَ تَـحْكُمُ بين عـبـادِك فـيما كـانُوا فـيـه يختلفـون . . اهْدِني لِمَا اختُلِفَ فـيـه مِن الحَقِّ بـإذْنِك ؛ إنَّك تَـهْـدي مَن تَشَاءُ إلى صِراطٍ مُسْتقيم»[1] .

﴿واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَليم﴾ .

---

(١) كما رواه مسلمٌ (٧٧٠) ـ عن عائشةَ ـ مِن دُعاءِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم .

تَوْطِئَةٌ

إنَّ ما سَبَقَ مِن مُقَدِّمات ، وما سَيَأْتي مِن مباحث ومُناقَشات : هو في حقيقتِهِ وثَمَرتِهِ ليس مُوَجَّهاً إلى (فئةٍ) دون أُخرى ، أو (دعوةٍ) دونَ سواها ، أو (حَرَكةٍ) دُونَ عَدَاها . . .

وَإِنْ كانَ ثَمَّةَ تَرْكيزٌ على بعض (الأَفكار) التّي تَشُقُّ (طريقَها) اليومَ بيْنَ (الشَّباب) ، وبقوّةٍ ، دونَ ـ حتّى ـ (دَقٍّ) على (الباب) !!

وما ذاك إلاّ لأَنَّها تلبسُ لَبُوسَ العلمِ و (البيان) ، وتَلْتَحِفُ بثَوْبِ (السُّنَّة) والقُرآن !!

لِذَا ؛ فإنَّ (المآخذَ) الآتي بيانُها ،وكَشْفُ(نَقَائضِها) هي(عواملُ)ـ في عُمومِها ـ مشتركةٌ بين سائرِ (الفئات) الدَّعويّة ، و(الدَّعَوَات) الحِزبيّة . .

نَعَم ؛ هي في بعضِ هذه (الدَّعوات) أظهرُ مِن

البعضِ الآخَر ، لكنّها (الإطار) العامُّ الذي تنتهجُه مُعْظَمُ تِلْكُمُ (الحرَكات) . . .

ولم أَطْرُق في نَقْدي الآتي بَعْضاً مِن الأفكار (الوافدةِ) أَيْضاً في طريقِ (الإصْلاح) (!) كمثلِ دُعاةِ (البرلمانات) والمهرجانات ، والمسيراتِ والمُظاهَرات !! (الاخوان المسلمون)

.. أو أصحابِ السِّياحةِ في الأَرْضِ بجهلٍ فارغٍ ، وحماسٍ خاوٍ ! (جماعة التبليغ)

.. أو دُعاة الاغتيالات والانقلابات . . وإغراق الأُمّة ببحار الدَّم قبلَ (الأوان). . . ! (التكفيريون)

أو غيرهم مِمّن غايرَ (نَهْجَ السَّلَف) باسْمٍ أو رسْمٍ ، في شَكْلٍ أو مَضْمونٍ . .

فإنَّ لهؤلاءِ - جميعاً - ونَقْضِ شُبُهاتِهم موضعاً آخَرَ !!

وَمَا حَدَاني إلى كَتْبِ ما كَتَبْتُ إلاَّ عِلْمي اليقينيُّ بما «تمرُّ به (الصحوةُ) الإسلاميةُ الجديدةُ ، مِن مُنْعَطَف تاريخيٍّ بالغِ الأهمّيّةِ ، ستمتدُّ آثارُهُ في وجهةِ المُجْتَمَع الإسلاميِّ ، مِن واقعِ الأُمَّةِ الحاليِّ ، إلى آفاقٍ بعيدةٍ مِن مُسْتَقْبَلِها .

وذلك أنَّ (التحدِّي) الأكبَر والأساسيَّ الَّذي أصْبَحَ يُواجِهُهُ (الإسلاميُّونَ) اليومَ لم يَعُدْ مَعَ القوى الخارجيةِ ، بقَدْر ما هو مَعَ (الدَّاخِل) الإسلاميِّ ، مَعَ قضيَّةِ ترتيب (البيت) الإسلاميِّ الكبير ، وضَبْطِ قَواعِدِه ، وحَسْمِ خياراتِه الكُبرى ، وضَبْط (نُظُم) سياساتِه»[1] .

فَلِتَرتيبِ (أَوْراقِ) هذا (البَيْتِ) ، ولِضَبْطِ (قواعِدِه) أقولُ ـ وبِهِ سُبحانَه أَصولُ وأَجولُ ـ :

إنَّ (كُبرى) المآخِذِ في خَطِّ سَيْر أُولئكَ (الدُّعاة) الُمخْتَلِطَةِ أوراقُهم ، مُتَمَثِّلٌ في جوانبَ عدّةٍ ،أهمُّها عَشرَةٌ :

---

(١) «أزمة الحوار الدِّيني» (ص ٥) جمال سُلطان .

الأول : التكتُّل الْحزبيُّ :

روى الإمام مسلم[1] عن جابرٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال : «إنَّ الشَّيْطانَ قد أَيِسَ أن يَعْبُده الْمُصلُّون في جزيرةِ العَرَب، ولكنْ في التَّحْريش بينَهم» .

أقولُ : قد رأيتُ بأُمِّ عَيْني نُذُرَ هذا الحديثِ في مجالسِ كثيرٍ مِن (الشَّباب) ، ومُناقَشاتهم ، وكلامِهم ، وذلك في زيارتي الأخيرةِ لِبَعْضِ مُدُنِ (جزيرة العَرَب) كالمدينةِ النبويّة وجُدَّة !!

وإنِّي ـ وعلى مدار عَشْرٍ من السَّنَوات كرَّرتُ فيها الزِّيارةَ لهذه البلاد ـ لم (أَلْحظ) شيئاً مِن (مُقَدِّماتِ) ذلك (التَّحْريش) ، ولم أَرَ بَوادرَ تُشير إليه (!!) أو(بَوَارقَ) تُنْذِرُ به (!!) إلاّ هذه السَّنَةَ !

والسَّبَبُ في ذلك هو (التكتُّل الحِزبِّي) الحادثُ

---

(١) في «صحيحه» (رقم : ٢٨١٢) .

الطَّارئ الذي يَظُنُّ بعضٌ مِن (هؤلاء الدُّعاةِ) أنَّ فيه (المَخْرَج) مِن (الواقع) الذي تعيشُه الأُمَّةُ !!

وإنْ كان هذا (التكتُّل) لَمَّا (تكتمل) مَعَالِمُهُ و(تفاصيلُه) إلى هذه السَّاعة ! ولكنَّ كُلَّ آتٍ قريبٌ !!

فهذا (التحريشُ) هو بدايةُ الشَّرِّ الأكبر ، ونَذِيرُ الفَسَاد الأَخْطَر «وما ذاك إلاّ لأنَّ بَذْرَ الشِّقاق والنِّزاع لِنَقْضِ وحلِّ الجماعةِ أسرعُ مِن نَقْضِ الاعتقادِ .

فانظر كيفَ كانتْ آصِرَةُ الإخاء أوَّلَ لَبِنَةٍ في بناء جماعةِ المسلمين ، ونَقْضُها أولُ مِعْوَلٍ لِتَفْتيتِ جماعةِ المسلمين»[1]!

وإنِّي إذ أقولُ هذا وأَكتبُه فإنَّ الألَمَ ـ واللهِ ـ يعتصرُني مِن هَوْلِ ما هو قادمٌ !

فهذا نَذيرٌ . . وتحذيرٌ . . فاسْمَعُوا وَعُوا !!

فكيفَ يَخْرُجُ (هؤلاءِ) مِن (الظلام) بِظلامٍ (أَقْتَمَ) وأشَدَّ سَوَاداً وَاحْلُولاكاً !!؟

---

(١) «حُكم الانتماء» (ص ٨٣) .

«إذ الأَصْلُ في الإسـلام وجوبُ الوحدة والائتلافِ وحُرمةُ الفُرقة والاختلافِ ، وهذه واسطةُ عِقْدِ الدعوةِ إلى اللهِ تعالى : شَدُّ آصِرَةِ التآخي بين المُسْلمين ، وتوثيقُ عُرى الوَلاءِ بينَهم ، والحُبُّ في اللهِ، والبَراءةُ مِن كُلِّ ما يُخالفُ دينَه وشَرْعَه ، ونبذُ الشِّقاق والفُرقةِ والتفريق، على أساس رسوخِ وحدةِ الاعتِقادِ ، وَالتَّخَلُّقِ بأحكام القُرآن العظيم وسُنّةِ نبيِّه الكريم ﷺ»[1] ، وعلى نَهَج الأَسْلافِ الصالحين .

ونُذُرُ ذلك (التكتُّل الحِزْبِيِّ) ـ ولو أنّه في بدايات (تَفْرِيخه) وفي أوائل (شِرَّتِه) ـ أنّ ثَمَرَتَهُ في الأُفُقِ باديةٌ ظاهرةٌ كغُيومٍ سوداءَ مُقْبِلَةٍ ، مُثْقَلةٍ بـ ﴿ ريحٍ فيها صِرٌّ ﴾ يُهْلِكُ الحُبَّ في اللهِ ، ويَحْصُدُ الأُخوَّةَ الصادقةَ ، ولا يُبْقي إلاّ على ذُبالاتٍ مِن الأخوةِ الحزبيّة الضيّقةِ المقيتةِ !!

فهل بمثلِ هذا يرجعُ (المَجْد) ؟!

وهل بمثل هذا تكونُ (الدَّعوة) ؟!

وهل بمثلِ هذا تُرَشَّدُ (الصحوة) ؟!

---

(١) «حُكم الانتماء» (ص ٨٢) .

... وحينئذٍ تَبْدَأُ (صُوَر) التعصُّبِ البغيضِ، بأشكالها وألوانِها .. فَيُرْفَضُ الحقُّ مِن (زَيْد) لأنّه (زَيْدٌ)! ويُقْبَل نقيضُ الحقِّ مِن (عَمْرٍو) لأنّه (عَمْرو) !!

وتَنْفَجِرُ بذلك شراراتُ الموالاةِ والمُعاداةِ على ضوءِ (الأشخاص) و (الأسماء) و (الجماعات) ! بل (الأشرطةِ) و (المجلاَّت) !!

قال شيخُ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله تعالى :

«مَن نَصَّب شَخْصاً كائناً مَن كان ؛ فَوَالى وعادى على مُوافَقَتِهِ في القولِ والفِعْل فهو مِن الَّذين ﴿ فرَّقوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعاً ﴾ ..»[1] .

.. لقد رَأَيْنا (شباباً) عَرَضْنا عليهم (كلماتٍ) قالها (زَيْدٌ) أو (عَمْرو) ـ دونَ تَعْرِيفِهِم بذلك ـ فَأَنْكَروها (!) ورفضوها (!)، فلماً أخبرناهم بأسماءِ (قائليها) قالوا : (لعَلّ) و (لعلَّ) !!

---

(١) «الفتاوى الكبرى» (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) .

إنَّ هذه (الصُّور) عكوسٌ لـ (نَصْب الأشْخاص)، ولو لم تكُن مُتَعمَّدَةً في ذاتها، فهي مِن (إفرازاتِ) التعصُّبِ الناشِيءِ عن (التكتُّل الحِزْبي) ولو بصورتِهِ (النفسيّةِ) السَّاذجةِ !!

«وهذه حالُ كثيرٍ مِن الجماعات والأحزابِ الإسلاميةِ اليومَ: أنهم يَنْصِّبونَ أشخاصاً قادة لهم، فَيُوالون أوْلِيَاءهُم، ويُعادونَ أعْداءهُم، ويُطيعونهم في كُلِّ ما يُفْتونَ لهم دونَ الرُّجوعِ إلى الكتابِ والسُّنَّةِ، ودونَ أن يَسْألوهم عن أدلَّتهم فيما يقولون أو يُفْتُون!

ومثل هذه المناهج لا تَصْلُحُ أنْ تكونَ أساساً للتغيير، ووحدة صَفِّ المسلمين، بل ولم يَحْدُث أنْ توحَّدَتْ كلمةُ المسلمين على مَذْهبٍ مِن المذاهبِ، أو على حزبٍ من الأحزاب»[1].

... فَنَعُوذُ باللهِ مِن الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْر !!

ثم إنَّ الأمرَ لا يقتصرُ على هذا (القَدْر)، ولا يقفُ عند هذا الحَدّ.. فالجماعةُ (تُفَرِّخ) جماعاتٍ.. والحزبُ

---

(١) «منهج الأنبياء» (١٦/١) محمد سرور زين العابدين !!

(يَلِدُ) أحـزاباً . . و(الـغُـلامُ) يُـصْـبِـحُ (شـيـخـاً) . . و(المُـتَـمَـشْـيِـخُ) يصيـرُ (إماماً) !!

وعليهِ ؛ فإنَّ «تعـدُّدَ القـيـاداتِ والجماعاتِ الإسلاميةِ الـيـومَ حـالَةٌ مَـرَضِيَّةٌ يجِبُ أنْ لا تَسْتَمِرَّ بحـالٍ مِـــن الأحـوالِ»[1] !

ولا دواءَ نـاجِعٌ لهـذه (الحَالـةِ المَرَضِيَّةِ) يَسْتَشْفـي منهـا أصـحـابُها ، وَتَبْرَأُ بهـا (أَدْواؤهـا) إلاّ بـنَبْذِ آفـاتِ (الـتكـتُّلِ الحِـزبيِّ) بأشكالِهِ كُلِّهـا ، وَصُـوَرِهِ جَمِيـعِـهـا (!!) (الحقيقيِّ) منها ، و (النفسـيِّ) !

وبهـذا كُلِّه ـ وبـه فـقـط ـ يَبْـرُزُ مَنْهجُ السَّلَفِ بقـوته وبهائِهِ ، وحُجَّتِـهِ وصِـفائِهِ ، فتظهرُ كلمتُه ، وتَتَّضِحُ معالمُه ، ويَنْضـوي أهلُ الحقِّ تحت رايتِهِ ، «فإنَّ أهل الحقِّ والسُّنةِ لا يـكـونُ مَتْبـوعُهـم إلاّ رسـولَ الـلهِ ﷺ ، الذي لا ينطقُ عن الهـوى إنْ هُو إلاّ وحـيٌ يُوحى ، فـهـو الّذي يجبُ تَصْديقُه في كُلِّ مـا أَخْبَرَ ، وطاعـتُه في كُلِّ ما أَمَر ، وليست هذه المنزلةُ لـغيرِهِ مِن الأئمةِ ، بـل كُلُّ أَحَدٍ مِن الـناس يُؤْخَذُ مِن قـولِهِ ويُتْرَكُ إلاّ رسـولَ اللهِ ﷺ .

---

(١) «منهج الأنبياء» (١/ ١٦٨) محمد سرور زين العابدين !

فَمَن جَعَلَ شَخْصاً مِن الأشخاصِ غَيْرَ رسولِ اللهِ ﷺ : مَن أحبَّه ووافَقَه كان مِن أهلِ السنّةِ والجماعةِ، ومَن خالَفَه كان من أهلِ البدعةِ والفُرقةِ ـ كما يُوجَدُ ذلك في الطَّوَائف مِن أَتْباعِ أئمّةٍ في الكلامِ في الدينِ وغير ذلك ـ : كان مِن أهلِ البِدَعِ والضّلال والتفرّق»[1] .

وفوق هذا كُلِّه ؛ فإنَّ مِن أَشَدِّ آثار (التكتُّلِ الحِزبيّ) بصورتيهِ (الحقيقية) و (النفسيّة) : «ذلك التهيب المريض مِن طَرْحِ ما لَدَيْهِم مِن مفاهيم على العُلَماءِ ، وفِرارِهم مِن مُناقَشَةِ العُلَماءِ لهم»[1] !!

وهذا (الفرارُ) مُشاهَدٌ معلومٌ ! فهو أمرٌ (واقع) ما له مِن دافع[2] !!

ولا (يُلْتَمَسُ) تَسْويغٌ لهذا (الفرار) بأنْ يُقال : «إنّهم يكتبون .. وينشرون ..» !

فالجوابُ : نَعَم ؛ لكنّهم يُؤَوِّلون .. ولا يَجْلِسونَ .. ويُمَوِّهون .. ولا يُصَرِّحون ! !

---

(١) «حكم الانتماء» (ص ١٢٣) .

(٢) وفي رسالتي «الدعوة إلى الله بين التجمُّع الحزبي والتعاون الشرعي» تفصيلٌ مطوّل في نقض (التكتل الحزبي) وردِّه .

الثاني : السرِّيَّةُ في العَمَل :

(يُـخـطِّطُ) كـثيرٌ مِن هـؤلاءِ الـدُّعـاةِ (بـرامجَهم) ، و(يُنظِّرون) أفـكارَهم على مُسْتَوَيَيْـنِ مُتَوازِيَيْـنِ :

الأوّلُ : الـمُحـاضَـرات العـامّة : وهُم يُقـيمونها على سـاق (الدعـوةِ الموسـمـيةِ)[1] الـمُـقْحَمَةِ بـ (الانشـغـال السِّياسي)[1] : (تَهْييجاً) و (تَـنْفيساً) !!

نعم ؛ لا تخلو (بعضُ) مجالِسـهم مِن دُروسٍ (فقهيـة) أو (عقيديّة) ، لكنّها تُساقُ بِمَسَاقٍ له (أَهْدافٌ) عدّةٌ تَصُبُّ في (مَصَبٍّ) واحـدٍ يخدُمُ في النهـايةِ (البرامجَ) المرادَ تحـقـيقُها (والنَّظَـريـاّت) الـمُـبْـتَـغى نَـشْـرُها وتَـنْـفيذُها !!

الـثـاني : الـتـكـتُّلُ الـسِّرِّيُّ : وهـو المَقْصـودُ مِن هذا الـمَـبْـحَـثِ ، إذ ترى هؤلاء (الدُّعـــاةَ) «يقـضونَ مُعْظَمَ

---

(١) انـظـر الـمَـبْـحَـثَـيْـنِ الآتِيَـيْـنِ بهذين العنوانين .

حياتِهِم في الدعـوةِ في دَهَاليزِ الـسـرِّيَّة»[1]، (يُنَظِّمون) الـشَّبابَ (وَيـحَزِّبـونَـهـم) و (يُنَظِّرون) لهـم (أفكارَهم) و (تـوجُّهـاتهـم) ، بـالقـالَبِ نفسـه ، والطريقـةِ ، ذاتِها !! ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ .

وهـذه (السِّرِّيَّةُ) في حـقـيـقـتـهـا (كَبْتٌ) للطاقـاتِ ، وتمـويـتٌ لـلـعَمَلِ الجادِّ الـشَّامـل ، و (تَفْتـيـحٌ) لـعـيـون (المُتَرَبِّصين) ، و (تمهيدٌ) لطريق (الاستدراجِ الماكر)[2] الذي يُراد بالدُّعـاة (والشَّبـاب) أن يسـقُطوا في (هُوَّتِه) حتّى تكونَ دعـوتُـهـم وطريقـتهم بالنسبةِ إليهم كـ (سيف جالوتَ) ـ فيما يُقال ـ يَقْتُلُ به صاحِبُهُ !! ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ؟!

ثـم لْـيَـنْظُرْ هـؤلاءِ (الـدُّعـاة) حـولَهَم ـ اخْتـِبَاراً لأُسلوبهم وطرائقهم ـ !!

ماذا سَيَرَوْن ؟!

وعلى ماذا سيقفون ؟!

---

(١) «منهج الأنبياء» (١/ ١٥٤) محمد سرور !

(٢) انظر المبحث الآتي بهذا العنوان (ص ٩٢) .

سَيَرَوْن تلك الوجوهَ (الشابّةَ) الباسمةَ ، المُشرقةَ بضياء السُّنَّة ، والمُتلألئةَ ببهاء القرآن (مُتهافتةً) (مُتَوافِدَةً)!

فالسُّؤالُ الآنَ :

هل تلك (الوجوهُ) وهذه (الجُموعُ) جاءَتْ جرَّاءَ (تكتُّلٍ حِزبيٍّ) و (عَمَلٍ سِرِّيٍّ) ؟!

أم أنّها جاءَت ثَمَرَةَ (تعاونٍ شرعيٍّ) و (توفيقٍ إلهيٍّ)؟!

ليس مِن شَكٍّ عند كُلِّ (عاقلٍ) و (واعٍ) أنَّ الجوابَ (الوحيدَ) الَّذي لا ثانيَ له هو أنَّ هذه الثَّمراتِ المُباركةَ إنّما هي (تسديدٌ إلهيٌّ) و (توفيقٌ ربَّانيٌّ) ناتجٌ عن (تعاونٍ شرعيّ) و (تلاقٍ أخويّ) و (تَصَافٍ وُدِّيّ) !

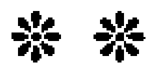
فهل تُسْتَبْدَلُ هذه (الثمرةُ اليانعةُ) الّتي آتَتْ (أُكُلَها) طَيِّبةً : بـ (نَبْتَةٍ) غريبةِ (السَّاق) غامضةِ (النموّ) شَهِدَ (العصرُ الحاضرُ) بعُقودِهِ كُلِّها نماذجَ مِن (ثمراتها الفَجَّةِ) و (أُكُلِها) الفاسدِ ! ؟

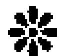
﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذي هو أدنى بالَّذي هو خَيْرٌ ﴾ !

﴿ ما لَكُم كَيْفَ تَحْكُمون ﴾ ؟

فإلى الطريقِ الوَسَط الحقِّ : طريقِ الكتابِ والسُّنَّة بفهم سَلَف الأُمّة ، دون تَمَحْوُرٍ يَحرِفُ ، ومِن غير تَشَرْذمٍ يَصرِفُ ، بل بأُخوّةِ الإسلامِ ، وشموليّةِ الإسلامِ، وصفاءِ الإسلامِ ، وتعاوُنِ الإسلامِ .

والسَّلام !





الثالث: الدعوةُ الموسميّةُ :

كان مِن أساليبِ الكَفَرةِ والمُشْركين في نَقْضِ قُوَّة المُسْلمين ، وتشتيت دعوتِهم «استهلاكُ جُهودِ العُلَماءِ والدُّعاةِ في مُقاومة أفكار التبشير ؛ مِمّا يُضَيِّعُ عليهم الفُرْصةَ لِلْعَمَل والبناء ، ويُعَطِّلُ جُهودَهم المُثْمِرةَ »[1]!!

ثم (توسَّع) هذا (الأُسلوب) مِن هؤلاء الماكِرين إلى إقامة (المؤتمرات) ، وتَسْريب (التَّقْريرات) ، و (تَلْوين) الخُطَطِ والمُؤامَراتِ ، وإضْفاءُ هالات التفخيم لِكُلِّ ذلك ! !

.. وانْسَاقَ هؤلاء (الدُّعاة) خلفَ ذلك كُلِّه (!) مُستهلكين جُهودَهم وأفكارَهم ، ومُسْتَنْفِذين طاقاتِهِم ومُحاضراتِهِم في تتبّع ذلك و (التعقيب) عليه ! ! !

حتّى أَصْبَحَتْ دعوةُ (هؤلاء) في مُعْظَم أَحْيانِها موسميّةً (!) مُرتبطةً بمُؤتَمرٍ ، أو موصولةً بتقريرٍ ، أو

---

(١) «العلمانية ..» (ص ٥٥٦) سَفَر الحَوَاليّ .

منبثقةً مِن خُطَّةٍ منشورة أَوْ تحليلاتٍ غَيْرِ مَشْهورة !!

وهذا كُلُّه في حقيقتهِ وثَمَرتِه انصرافٌ عن حقيقةِ المعركةِ ، وحقيقةِ الصِّراعِ ، في الوقتِ الذي عَرَف فيه الكُفَّارُ والمُشركونَ (مَكْمَنَ العِلَّةِ) و (موضعَ الدَّاء) حيثُ صار عندهم ـ بَعْدَ لأْيٍ ـ «تفكيرٌ ذَكيٌّ اتَّعَظَ بالهزائمِ العسكريّةِ المُتلاحقة التي مُني بها الغَرْبُ [مِنَ المسلمين] ، ونَقَّب [هؤلاء] عن السِّرِّ العظيم لصلابةِ المُسْلمين وانتفاضاتهم المُفاجئةِ ! وَوُجِد السِّرُّ فِعْلاً ـ أنّه الإسلامُ نفسُه ،ولا شيءَ سواهُ .

وَوضَعَ [الغربُ] خُطَّتَه الخبيثةَ بناءً على هذه النتيجةِ؛ خُطَّةً لا تقومُ على إبادةِ المُسلمين ، ولا على احتلالِ أراضيهم ، وإنَّما تقومُ على إبادَةِ الإسلام نفسِهِ واقتلاعهِ مِن نُفوسِ أبنائهِ وضمائرِهم ، أو تَقْليص دائرتهِ، وعَزْلِهِ عن واقعِ الحياةِ .

وإذ تحوَّل الصِّراعُ مِن حَرْبِ المُسلمين إلى حَرْبِ العقيدة الإسلاميّة ذاتِها : تَغيَّرت ملامحُ وجوانبُ المعركةِ؛ لم يَعُدْ ميدانُها الرئيسيُّ الأرضَ ، ولكنّه الأدمغةُ، ولم تَعُد

وسيلتُها الوحيدةُ السَّيْفَ ، بل الفِكْر . . ».[1]

الأَدمغةُ . . والفِكْرُ . .

مَن هو المُوَجِّه لَهُما ؟

وما هو المسيطرُ عليهما ؟

بالنسبةِ لأصحابِ الحَقِّ ودُعاةِ النَّهْجِ القويم، فالجوابُ واضحٌ : إنَّ المُوَجِّه الوحيدَ ، والمسيطرَ الأَوْحدَ هو الوَحْيانِ الشريفانِ : كتابُ اللهِ سُبحانه ، وسُنَّةُ رسولِهِ ﷺ ، بفَهْم السَّلَف الصَّالح :

﴿مَا فَرَّطْنا في الكتابِ مِن شَيْءٍ﴾ .

« إنَّه لم يكُن نبيٌّ قبلي إلاّ كان حقّاً عليه أنْ يَدُلَّ أُمَّتَه على خيرِ ما يعلمُه لهم ، ويُنْذِرَهُم شَرَّ ما يَعْلَمُه لهم»[2]

ففيهما النَّجاةُ . . وبهما السَّعادةُ والفلاحُ . .

أمّا (الآخَرُون) فهم ينطلقون في دعوتهم (الموسميّة) مِن (خُطط) الأَعداءِ (وبرامجِهم) ! (فَيَنْزَلِقُون)

(١) «العلمانية» (ص ٥٣٥) سَفَر الحوالي .

(٢) رواه مسلم (١٨٤٤) عن ابن عَمْرٍو .

نَـحْـوَهَا ، و(يُرُدُّونهَا) ، (يكشـفون) زيوفَها !

وهـذا الأَمْرُ ـ وإن كـان في ظـاهـرِهِ حَسَناً مَقْبـولاً ! ـ فإنّه ذو ثَمَرةٍ سَيئّةٍ غايةً !!

بمـعنى أنَّ هؤلاءِ (الشـبـاب) الجالسين في (سماعِ) نَقْد (تقـرير) كـذا ، و(مـؤتمر) كـذا ، و(خُطّة) كذا : (تُبَـرْمَجُ) عـقـولُهُم على هـذا النَّحْوِ ، وبهذا (التَّقْدير) !! فـتـضـعُفُ (ثوابتُهم) الشرعـيّة التي بتـقـعـيـدها و (تأْصيلها) يستطيعون (كـشـفَ زَيْفِ) أيِّ (مُؤتمـر) ، وفَضْحَ أيِّ (مُؤامـرة) ونقضَ أيِّ (تَقْرير) !! دون بعـثـرةٍ لجـهودهم، وإضاعةٍ لأوقاتهم ، واستهلاكٍ لطاقاتِهم !

ثـم إنَّ هـذه (الـدَّعـوة المـوسـمـيّة) قـائمـةٌ في أَصْلِهـا وفَصْلـهـا على (الانشـغـال السِّيـاسي)[1] الـدائرِ فَلَكُهُ بـين صُحُفِ الغَرْبِ ومجلاَّتِه ، وإعـلامِهِ ووكالاتِهِ !!

وَمَا هـــذه (الـدعـوةُ المـوسـمـيّةُ) بـذاك (الانـشـغـال السِّيـاسي) إلاَّ كَمَثَلِ رَجُـــلٍ لا (مَــأْوى) لـــــه ، وعِنْدَه أَبْناءٌ صِغَارٌ ، لا يَقْـدرون على شيءٍ ولا يَسْتطيعون !! فهو

---

(١) انظر المبحث التالي .

(يُـخَطِّطُ) لإقـامـةِ (مأوى) له يقَـيِه (الحَرَّ والقَرَّ) ، وَيجَدُ به (ذاتَه) ، ويحفظُ به بَنيـهِ و(قَناتَه) !

فَبَدلاً مِن أنْ (يـبـحـثَ) عـن (الأرض) الـتـي سـوف تكونُ (مقرَّ المأوى) !

وَبَدَلاً مِن أنْ يُفَكِّر في (الـطريقـةِ) التي سـوف (يُرَبِّي) عليها (أبناءَه) !

وَبَدَلاً مِن أَنْ (يجـتـهـد) في (جمـع الأَخْشـاب) الـتـي (سَيبني) بها هذا (المأوى) !

وَبَدَلاً مِن أَنْ يُمَهِّدَ (الـطـريـق) الذي سَـيُوصِلُهُ إلى (مُبْتَغاه) !

. . . راحَ (المِسْكين) يـبـحـثُ في (تَـحْصـين) هـذا (المأوى) ، لِيُحَذِّر مِن (سَرقـتِه) !وهو لا زَالَ في (فراغٍ) !

وعـن (الـوسـيلة) التي يُدافعُ بها عن (مأواه) الذي هو (وَهَمٌ) في عَقْلهِ !

وعـن أسـالـيب (الوحـوش) التي سَتَنْقَضُّ على (مَأْواه) الذي لم يَـخْرُجْ بَعْدُ مِن (مُـخَيلَتهِ) أو يَـصِـلْ إلى مَرْآهُ !

... ثم (فجأةً) يستيقظ هذا (الرجلُ) مِن (أحلامِه) و(أوهامِه) ! فإذا هو (مكانَه) ، وأبناؤه - زيادةً على صِغَرهم - أصابهَم (الهُزَال) وضَرَبهُم (الضَّعْفُ) !!

وإذا هو (تائهٌ) لا يَدْري ماذا يفعلُ !

.. فـ (تَفْكِيرُه) و(تحذيرُه) و(وسائلهُ) و(أساليبُه) ... كلُّها هَبَاء .. طارت في (الهواء) !!

لأنَّه اشْتَغَل بـ (الفَرْع) ولمَّا (يقف) على (الأَصْل) !! مُهْتَماً بـ (الكماليَّات) ناسِياً (الأساسيَّات) !!

فلا أقام (ثوابتَ) ولا أَنْتَجَ (ثمرةً) !!

وهكذا الحالُ و(الواقعُ) مَعَ هؤلاء!

ونَهجُ السَّلَفِ في ذلك ، إقامةُ القواعدِ ، وتأصيلُ الثوابت [1] .

ومِن عَجَبٍ أنَّ (البعض) مِمَّن اغترَّ بهذه الطريقة (الموسميَّة) في الدَّعوةِ ، يذكُرُ (دليلاً) على صحَّةِ (صَنيعِهِ)

---

(١) انظر رسالتي «فقه الواقع بين النظرية والتطبيق» ، مبحث «ثوابت فقه الواقع» (ص ٢٠ - ٢٧) .

تلك الجمُوعَ (المُتهافتةَ) على حُضورِ بعضٍ مِن مجالس هؤلاء (الدُّعاة) ، أو تلك الأعدادَ المتوافدةَ على سَماعِ (أشرطتهم) و (تَسْجيلاتِهِم) ،أو قراءةِ نَشَراتِهِم و(مجلاَّتِهِم) !!

والنَّظَرُ في هذا (الدليل) كافٍ لِنقضهِ ورَدِّه !!

«فعلى الَّذين يتفاخَرون بالجمُوع الغفيرةِ الَّتي تسيرُ في ركابِهِم أن يُعيدوا النَّظَرَ في حساباتِهِم ، فقد تكونُ جموعُهم ـ إنْ كانوا صادقين ـ عبئاً عليهم ، وليست عَوْناً لهم»[1] إنْ هُم أخطأوا طريقَ (المنهج) ، و(اختصروا) الصِّراطَ القويمَ، مُبْتَعِدين عن منهج السَّلَفِ في (الدَّعوة) و(التربية) و (التأْصيل) !

فَعَوْداً حميداً تُسْتَنْقَذ به هذه (الجموع) ، وتتآلف عليه ـ بحقٍّ ـ تلكم (القلوب) .

---

(١) «منهج الأنبياء» (٧٦/١) محمد سرور !

الرابع : الانْشِغَالُ السِّياسيُّ:

مِن المُسَلَّم بـهِ عـند كُلِّ «عـاقِل» (أنّه مَهْما بلغت القُوّةُ الخـارجيّةُ ، ومهما كان التخطيطُ المُضادُّ ، فإنَّ المُسلمين لن يُؤْتَوْا إلاّ مِن قِبَلِ أنْفُسِهـم ، حَسَبَ القـاعـدةِ المُطَّرِدة الـتي سَنَّهـا اللهُ تعـالى : ﴿ ذلكَ بأنَّ اللهَ لم يَكُ مُغيِّراً نِعمةً أنْعَمَها على قَوْمٍ حتّى يُغيّروا مـا بأنْفُسِهـم﴾ ، وأوضَحَهـا الـرَّسـول ﷺ : «ودعـوتُ رَبِّي ألاَّ . . يُسَلِّط علـيـهـم عَدُوّاً مِـن سوى أنفسـهم ، فـيستبيحَ بَيْضَتَهم ، حتّى يُقاتِلَ بعضُهم بعضاً»[1] . .)[2]

لـذا فـإنَّ «الـتـهـوُّر ، والانـدفـاعَ الـعـاطفيَّ ، وترك الحكمةِ في معالجة الأُمور»[3] لا يُغَيِّـرُ (الواقعَ) ، ولا يُصْلِحُ سَـيِّـىءَ الأحوال !!

(١) رواه مسلمٌ (٢٨٨٩) عن ثَوْبانَ .

(٢) «العلمانية» (ص ٥٠٨) سَفَر الحَوَالِي .

(٣) مِن رسالـةٍ مطوّلة للشيخ سَفَر الحوالي نُشرِت في بعض البلاد باسم «كشف الغُمّة» (ص ٦٩) .

.. ومع ذلك فإنَّ كبارَ أُولئك (الدُّعاة) صارَ شِعارُ مُحاضَراتِهِم ومَجَالِسِهم (الاندفاعَ العاطفيَّ) ملفوفاً ذلك بأَوَّلِيَّاتِ (التهوُّر) ، ومَحُوطاً بمُجانَبَةِ (الحكمة في مُعالجة الأُمور)!!

لذا فإنَّك ترى أنَّ (الدعوة الموسميّة) ذات الطَّابع السياسيِّ[1] (المُكَثَّف) قد أخذت مسارَيْنِ عند (هؤلاء):

الأول : التَّهْيِيجُ السِّياسيُّ :

وذلك بأنْ تُشْغَلَ المجالسُ ، وتُعَبَّأَ النُّفوس ، و(تُوَجَّهُ) العقول ، في طريق ذي خَطٍّ واحدٍ ، شِعارُهُ العواطفُ ، ودِثارُهُ الحماسات ، (تَهْييجاً) للشَّبابِ ، واستنفاذاً ـ غير مقصودٍ ـ لطاقاتِهم ! !

.. وإلاَّ ؛ فبالله عليكم : ما هي الثمرةُ المرجوّةُ مِن هذا التهييج السِّياسيِّ بِواقِعِهِ الحالِيِّ ؟!

آلجهادُ في سبيل الله ؟!

فأين عُدَّتُه العقائديةُ ؟ وما هُو إعدادُهُ المادّيّ ؟!

(١) انظر ما سيأتي في البحث التالي : (فقه الجرائد و المجلات) .

أم معرفة خُطط الكُفار وألاعيبهم ؟!

.. عَرَفْنا .. ثم ماذا ؟!

هل (بِيَدِنا) حَوْلٌ أو طَوْلٌ نُغَيِّرُ به مِن خلالِ هذا (التهييج) السياسيِّ (الواقعَ) الأليمَ الَّذي نُعايِشُهُ ؟!

أَقولُ ـ وبصراحةٍ ـ : إنَّ أمثال هذا الانشغالِ السِّياسيِّ «سَبَبٌ يَصْرِف الأَنْظار عن الأمراض الحقيقيَّة التي تَنْخَرُ في جسم الأُمَّة مِن داخلِهِ ، فَتُفْرِزُ فيها القابليَّةَ للتخلُّف والهزيمة»[1] .

ثم : هل في خُطط الكُفَّار وتوجيهاتهم شيءٌ جديد لم نعرفه مِن قَبْلُ ؟!

أم أَنَّها تكرارٌ وتكرارٌ للألاعيب القديمةِ ، والمُخَطَّطاتِ السابقةِ (بقَوالبَ) مُتَغَيِّرةٍ بتغيُّر الأمكنةِ، وَتَجَدُّدِ الأزمنةِ ؟! إذ «الحِقْدُ اليهوديُّ على الإسلام لم يَخْمَدْ طوالَ العُصورِ»[2] فَهُوَ هُو !!

---

(١) «حكم الانتماء» (ص ١٢٣) .

(٢) «العلمانية» (ص ٥٦٧) سَفَر الحوالي .

﴿وَلَنْ تـرضـى عنك اليـهـودُ ولا النَّصـارى حَتّى تَتَّبعَ مِلَّتَهم﴾ .

واللهُ ربُّنا ـ سبـحانه ـ قد فصَّل لنا ذلك وبَيَّنَه ، وهو القـائلُ في كتابهِ : ﴿ وكذلك نُفَصِّلُ الآياتِ وَلِتَسْتَبِيـنَ سبيلُ المُـجرمين ﴾ .

فَالآياتُ مُفَصَّلَةٌ ، والسَّبـيل مُبيَّـنَةٌ ، والمُـجْرمـون . . مُتَكَرِّرون . . فلا مجَالَ لمُسْـتَكْثِرٍ أو مُسْتَزِيد . . وإنّما المَجالُ مجَالُ (تأْصيلٍ) وتَقْعيد ! !

وليس (التَّـهْيـيج السياسّي) بصورتِهِ الحالّيةِ هذه ـ دونَ تَقْعـيـدٍ عـلـمـيٍّ ، ومِن غـير منهجٍ سَلَفـيٍّ ـ إلاّ «عنترياّتِ جَـوْفاء» [1]؛ لا تُسْمِنُ ولا تُغني مِن جوعٍ !!

فكيفَ إذا عَكَسَ هذا (التَّـهْيـيجُ) سلبيّاتٍ عدّةً يضيقُ بها صَدْرُ طالبِ الحقّ الدَّاعي إلى اللهِ على بصيرة !!

مِن ذلـك : أَنْ يُوْصَفَ دُعـــاةُ الـكتـابِ والسُّـنَّة على نَهْج سَلَفِ الأُمّة بـأنهم مِن أصـــــحــاب «الإغـراق في الجزئيَّات» !!

---

(١) مِن تعبيرات الأخ سَفَر الحوالي في «كشف الغُمّه» (ص ٦٥) .

وهـذا الوَصفُ ـ في حقيقتِهِ ـ هو (تَـأثُّـرٌ) باسْمٍ (جديد) يُوافق (الواقع) الذي يعيشُه (هؤلاء) و (أولئك) في تلك المعركة (القديمة) بين أصحابِ السُّنة وأذناب البدعة : «هذه قشورٌ» ، «وهذه سفاسِفُ» !!

وهـو كـلامٌ بـاطلٌ يغْني سَوْقُه هنا [(١)] عـن الإطالةِ في رَدِّهِ، ونَقْضِـهِ !!

ومِن ذلـك أيْضـاً : قـولُ مَن قـال : «أُسـلـوب كُتُب العـقـيـدةِ فـيـه كـثيرٌ مِن الجفافِ ؛ لأنّه نُصوصٌ وأحكامٌ ، ولهذا أعـرَضَ مُعْظَمُ الشباب عنها ، وزهدوا بها» [(٢)] !

اللهُ أكبرُ !!

هل النُّصـوص والأحكام فيها جَفَافٌ [(٣)] ؟

---

(١) انظر كتـابي «علـم أصول البدع» ، البـاب الرابع : «قواعد التَّمـييز والفُروق» : «مبحث : بين القشر واللُّباب» .

(٢) «منهج الأنبياء في الدعـوة إلى الله» (٨/١) محمـد سرور زين العابدين !!

(٣) فإنْ قيلَ : «لعلّه لا يَقْصِدُ» ! فالجوابُ أننّا (نُحاسِبُه) علـى لـفظِـهِ لا علـى قَصْدِهِ !!والأصـلُ في ذلك تَـمْشِـيَةُ مـا قـعَّـده العُلَماء قديمـاً : «الألفـاظُ قوالب المعاني » والله الهادي .

هل دلائلُ الهُدى وبراهينُ الْيَقين جافَّةٌ ؟

هل ترى في مثل «شرح أُصول السُّنَّة» لِلاَّلَكَائِيِّ جفافاً ؟!

هل تلحظُ في «الشريعة» للآجُرِّي نَوْعَ (جفافٍ) يُعْرِضُ بهِ عنه (الشباب) ؟!

هل نَظَرْت في مثل «الإبانةِ» لابْنِ بطّةَ، و «التَّوْحيد» لابن خُزيمة ، و «رُدودِ» عُثمان بن سعيد : شَوْبَ (جَفَافٍ) يُزَهِّدُ أَحَداً بها ؟!

نَعَم ؛ إنَّ فيها مِن ذلك ألواناً (!) ولكنْ عِنْدَ مَن ؟!

عند الَّذين لم يفْهَموا العقيدة إلاّ تَفْريغَ (الطَّواغيت) وتكفير الحُكَّام (!) و التَّوْكيدَ على (الحاكميّة) بمفهومها (العاطفيِّ) المُعاصر !!

أمّا عند الذين عايَشُوا الوَحْيَيْنِ ، وجَرَتْ ألسنتُهم بذكر الكتب والسُّنَّة ، ونَهَجُوا في حياتِهم سبيلَ سَلَفهم الصالح : فإنهّم عرفوا أنَّ الالتزامَ بمثلِ هذه الكُتُب والمُصَنَّفات هو استمرارٌ لذلك المنهج الصَّفيِّ النَّقيِّ ؛ منهج

السَّلف الصالح الذين فَهِموا الكتابَ ، ودرسوا السُّنَّة ، وعرفوا مَدَارِكَ الأحكامِ، ومقاصدَ الشريعةِ ،فَهُم «عن علمٍ وَقَفُوا، وبِبَصَرٍ نافِذٍ قد كُفوا »[1] .

ومِن ذلك : ضَعْفُ حُبِّ العلمِ الشرعيِّ : وهي طريقةٌ(يَتَسَلَّلُ)بها إبليسُ إلى قُلوب ذلك (الشباب) المُتحمِّس مِن غير أن يَشْعُروا !! ويُداخِلُهم مِن غير أن (يتفكَّروا) ! !

وكشفُ (تلبيسه) يَكْمُنُ في المُقارنة بين (داعيةٍ) من دُعاة (التَّهْييجِ السِّياسيِّ) وبين (عالِمٍ) يُقيمُ (مجالسَه) و(مُحَاضراتِهِ) على التَّفَقُّه ، والتعليم ، والتربيةِ على العقيدة الحقّةِ :

ترى مجلسَ ذلك (الداعية السياسيِّ) غاصّاً بالشَّباب (العاطفيِّ) الهائج ، الذَّي (وُجِّه) و(رُبِّيَ) على قَبول ذلك والأُنْسِ به ، وبالتالي : (التَّمَلُّص)مِن كُلِّ ما يُخالفُ هذا النَّسَقِ ! !

بينما مجلسُ ذلك (العالِم الرَّبانيّ) خُلْوٌ مِن جُلِّ هؤلاء، فلا يشهدُ مجلسَه إلاّ نَفَرٌ قليلٌ مِن الحريصين على الجُثيِّ بين

(١) « فضل علم السَّلَف» (ص١٤٤) لابن رَجَب .

أيدي العُلَماءِ ، يستمدُّون مِنهم ما يُصْلِحون به (واقعَهم) بِعَقْلٍ مَعْمور ، وقَلْبٍ مَبْرور ،وفَهْمٍ مَوْفور ﴿ وَقَلِيلٌ مِن عِبَادِيَ الشَّكُور﴾ .

الثاني : التنفيس السِّياسي :

وهو الثمرةُ (الفجَّة) لذلك (التَّهْييج السِّياسي) ، إذ «التنفيسُ يكونُ دائمًا في أوقات الأزمات والمِحَنِ ، وكُلُّ مَأْزومٍ ومكروبٍ ومُضَيَّقٍ عليه يحتاجُ إلى تنفيسٍ وإلاّ هَلَكَ وأَهْلَكَ !

فَلِلإنسانِ طاقةٌ يقفُ عندها ، وكذلك للمجتمعات والجماعاتِ طاقاتٌ ، ووُسْعٌ واحتمالٌ لا تتعدَّاه ، وإذا زاد عن حَدِّهِ ، أدّى إلى الانفجار والثَّوْرةِ !

وهذا المعنى النفسيُّ معلوم جيِّداً في (السياسة) ، ولذلك يَعْمَدُ مُحْتَرِفوها في أوقاتِ الأزمات والمِحَنِ النفسيّة إلى إفساح المجال (بمقدارٍ معيّن) للإعراب عن الضِّيقِ والتنفيس عن النُّفوس !!

فإذا حَصَلَ التَّرويحُ والتنفيسُ عاد الضَّغْطُ والإكراهُ

حتّى يبلُغَ الاحتمالُ مداه ، ثم أُعيدت عمليّة التنفيس !

.. وهكذا حتّى ينْضُجَ الأَمْرُ [المُتَنَفَّسُ بسببه] ويصلَ إلى مَدَاهُ» [1] !

وذرْوَةُ هذا التنفيس وأعلاه يتمثّلُ في محُاضرات (الدَّعوة الموسمّية) أو مجالس (التَّهْييج السياسي) أو «خُطب الجمعة النارية ، حيث يصعد الخطيبُ المِنبَرَ مُنْتَفِخَ الأَوْداجِ، مُحْمَرَّ العينين ، فَيُلْقي الناسَ بالحُمَم والزَّبَد سابّاً اليهودَ ، وأعوانهَم المُستعمرين، وعُملاءَهُم ، مُنادِياً بالجهاد المقدّس لطردِهم ، وتطهير البلاد والعِباد منهم !

وتمتلىءُ قلوبُ الناس ونفوسُهم بالحماس الفارغ ، وتنتهي الخُطبةُ والصلاةُ ، ويَشْعُرُ (الخطيبُ) أنّه قد أدى واجبَه بالقولِ ، ويشعُرُ (الجالسون) أنهّم قد أَدَّوْا واجبَهم بالسَّماع ، ويَشْعرُ الجميعُ براحةٍ واسترخاءٍ بعد قمّة التوتُّر والحماس!!

وهكذا تتكرّر الأدوارُ كُلَّ أسبوعٍ ، فيعتادُ المُصَلِّي أن يمتلىءَ ويفّرِّغَ ، ويَمْتَلِئَ ويفُرَّغَ .. ثم يتبَلَّد الذِّهنُ

(١)«أضواء على أوضاعنا السياسية»(ص١٢٣) عبد الرحمن عبد الخالق .

والشُّعورُ ، فلا يجدُ المُتَدَيِّنُ مِنّا إزاءَ كُلِّ خَطْبٍ ومكروهٍ إلاّ أن يَسْتَرْجِعَ ويُحَوْقِلَ ،ثم بعد ذلك يظنُّ أنّه قد أدّى دورَه وقام بواجبِهِ !!

وهذا لَوْنٌ آخَرُ مِن ألوانِ التنفيس»[1] .

فهل هذه هي الثمرةُ المَجْنِيَّةُ مِن ذلك (التَّهْييج السياسي) ؟!

وفي الحقيقةِ أنَّ ثمرةً (فجَّةً) أُخرى يُنْتِجُها هذا (الانشغال السِّياسي)بِشِقَّيْهِ : تَهْييجاً وتَنْفيساً ، وهو ما سيأتي بيانُه ـ بَعْد ـ تحت عنوان «الاستدراج الماكر» !!!

وعليه ؛ فإنَّ هذا (التهييجَ) وذلك (التنفيس) مُبْعِدٌ لنا بالكُلِّيَّةِ عن الهَدَف السامي الذي نسعى عليه ، وصارِفٌ لنا ـ حقيقةً ـ عن مَوْطِنِ الداءِ ، ومَكْمَن الخَلَل ، حيثُ «إنَّنا لم نُؤْتَ إلاّ مِن قِبَلِ أنفُسنا ، وما عُوقِبْنا إلاّ بما كَسَبَتْ أيدينا، نحن الَّذين أَعْطَيْنا الكُفَّارَ الفُرصةَ لِيُخَطِّطوا ضِدَّنا وأَسْهَمْنا بِعِلَلِنا وأَدْوائنا في إنجاح مُخَطَّطاتِهِم .

إنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿وَإنْ تَصْبِروا وتَتَّقوا لا يَضُرُّكم

---

(١) «المرجع السابق» (ص ١٢٥ ـ ١٢٦) .

كَيْدُهُم شَيْئاً﴾فَلَوْلاَ إفـلاســـنا مِن الصَّبْرِ والتَّقْوى، بل مِن الإيمان والتـصـور السَّليم ،ما كان لهذه المُخَطَّطاتِ مِن أَثَرٍ ، وإنْ كـان : فـهـو كـالْجَرْحِ الـذي سَرَعـانَ مـا يـندملُ، أو الإغفاءةِ تَعقُبُها الـوَثْــبَةُ»[1] .

فليس مِن تصـوُّر سليم شـامل ظاهِر الصَّفـاء والنَّقـاء إلاّ نَــهْجُ الـسَّلَفِ الـصـــالـحِ ، فَلْنُعَمِّق قـواعِدَه ، وَلْنُطَبِّق أحـكـامـه ، وَلْنُرَبِّ (الـشَّبـابَ) عـلى تَأْصـيـلاتـهِ . . دونَ إشـغـالهم (بسـيـاسـةٍ) (نُجَرُّ إليـهـا) تَـهييجاً أو تنفيساً (!) لِنَنْحَرِفَ عن حـقيقة (الصِّراع) وجوهره !

أقـــولُ ـ أخـــيراً ـ : لـــو تـأمَّل هـؤلاء (المُنْشَغـلـون) بأنفـســهم (الشَّاغلون) غيرَهم: (واقعَ) المسلمين منذُ عشراتِ الأعوام ؛ لما (أَوْبَقُوا)[2]أنفُسَهـــم ، (وأَغْرَقـوا) غيرهم بهذا الَّـذي هُم (مُتَلَبِّسون) فيهِ :

---

(١) «العلمانية» (ص ٥٦٠) سَفَر الحوالي .

(٢) أمّا دُعـاةُ الـعَمَل (الـعـسـكـريّ) (اليـومَ) قَلْبـاً لأنظمـة الحُكم المُعـاصر ! وتَغْييراً (لِلأوضـاع) بمـثْلِ هذه الطرائقِ ، فَهُم أشبهُ ما يكونون ـ بـصـنـائعـهــم هذه ـ بحـالات الولادة (القـيـصريّة) ! !، لذا فإنَّ (الواقع) والشَّـرْع يُنابذُهم ويخُالفُهم . . فـلا نُطيلُ في تتبعهم ونَقْدِهم !!

انظُروا أحـوالَ (مِصَرْ) في السِّـتِّينات والسَّبْعينات !

وَتَـدَبَّـروا أحـوالَ (سوريّا) في الثَّمانينات !!

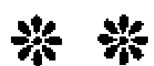
وتأَمَّلُوا أحـوالَ (الجزائر) في التِّسعينات !!!

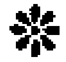
ثُمّ ..

لا حـولَ ولا قُوَّةَ إلاّ بالله !!

فـ «اللـهـمَّ اهْدِ قَوْمـي فـإنهّم لا يعلمـون » ، وعن النَّـهْج مُـنْشَغِلـون ، وبالعـواطِف غـارِقـون ، وبالحماسـةِ (يُسَـيَّـرون) !! وبـ (الهُوَّة) ذاتِها يَقَعون !!

فإنّا لِلّه وإنّا إليه راجِعون !!





الخامس : فقهُ الجرائد والمجلاّت :

وهو مـا يُسَمّى بِلُغَةِ بعضِ مِن هؤلاءِ (الدُّعاة) بـ «فقه الوَاقع» [1] !!

فَكُلَّما اطَّلَعْتَ ـ أيُّـهـا الـدَّاعـي ـ على جـرائدالغَرْبيِّين ومجلاَّتهِم ، ونَظَرْتَ تحـلـيـلاتهِم وأخـبـارَهـم ، وعـايَنْتَ مُذَكَّراتهِم ومـقـالاتهم : كُنْتَ أعلى (كَعْباً) في هذا «الفـقـهِ» المَوْهـوم !! وأعـمقَ (نَظَراً) في مـعـرفـة (الواقع) !! وأكـثـرَ (كَشْفاً) لِكَيْدِ الأعداءِ !!

فـحـينئذٍ : ترى تلك (الجمُوعَ) مِن (الشَّبـاب) مُلْتَفَّةً حـولَك ، (تقنعُ) بقولك ، و(تستجيبُ) لكلامِك !

وإلاَّ : فأنتَ .. وأنتَ ..

وهذه (الإشكاليَّاتُ) ينبغي أنْ يُنْظر إليها بعين التأمُّل و (التَّأنِّـي) الموافق لـ(الواقع) بحـقيقتهِ لا (بزيوفه) !

---

(١) وفي رسـالتي «فقه الواقع بين النظريّة والتطبيق» زيادةُ بيانٍ .

وأوّلُ ذلـك الجَزمُ بـأنَّ مِن أعـظـم وسـائلِ الـيـهـوديّة العـالميـة «السـيطرة على وسـائِل التربيـة والإعـلام والتوجيه، واسـتـخدامها لِنَشر سُمومهم، وتوهين العقيدة الإسلاميّة في النُّفوس»[1]!

.. فـإذا نَحْنُ (عَرَفْنـا) ذلـك، وأيـقـنَّا به، فما بالُنا نَقَعُ في (نـقـيـضـهِ)؟! فَنَنْشَغِلَ بِقَضِّ هــــذا (الأُسـلـوب) وقَضيضهِ!

مـا بالُنا (نُصَادُ) في (شَرَكِ) عَدُوِّنا؟!

ما بالُنا (نُوَجَّهُ) بأيديهم و(صَنَائعهم)؟!

وبيانُ ذلك أنْ أَقولَ:

إنَّ مـا (تُصَدِّرُه) وسـائلُ الإعـلامِ الغـربـيّة ـ سـواءٌ ما كـان بـالـتِّلـفـاز، أو المِذْياع، أو المجـلّات، أو وكـالاتِ الأنـبـاء ـ مِـمّـا يتـعلّق بالإسـلامِ والمُسْلمين، والكَيْد لهم، والتـخطيطِ لِكَبْتِهم، لا يَـخْرُجُ عن مَقْصـودَيْنِ، لا بُدَّ مِن تَحَقُّقِ أَحَدِهما ـ لَـهـــمْ ـ أو كليهما (!):

---

(١) «العلمانية» (ص ٥٥٥) سَفَر الحوالي.

الأول : شَغْلُ المُسلمين بقضيّة في (الشَّرْق) بينما هم يَكيدونَ في (الغَرْب) ،لِصَرْفِهم عن (حقيقة) المَكيدة ، التي (يُخَطِّطون) لها ، ويُدَبِّرون لِتَنفيذها !

الثَّاني : تَعْظيمُ أنفسِهم في (قُلوب) المُسْلمين ، بأنَّهم (دُهاة) و(مُخَطِّطون) و(مُفَكِّرون)و(لا يفوتهُم شيء) (!) و(مُسَيْطِرون) . . و . . و . .

مِمَّا ينعكسُ سلبيّاً على (نُفوس) بَعْضِ المسلمين (وقلوبهم) بأنَّ (هؤلاءِ) لا يُقْهَرونَ ولا يُضادُّون !!

فكيفَ ـ بعد هذا كُلِّه ـ نغترُّ بتحليلاتهم !

وكيف نَثِقُ بأنبائِهم وإعلامِهم !

وكيف (نَهْدي) إلى مُذكَّراتِهم وتَقاريرِهم !

وكيفَ . . وكيفَ !!

فهذا كلُّه ـ في حقيقةِ أمرِه ـ انصرافٌ جَذْريٌّ عن (حَلْبَةِ الصِّراع) الأَصيلةِ إلى جوانبَ منحرفةٍ عنها ، بعيدةٍ منها !!

ومِن أعجبِ صُور هذا (الفقه الواقع) أنْ ترى ذلك

(التَّماوُتَ) الشَّديد مِن كثيرٍ مِن هؤلاء (الشَّباب) على قراءةِ (مجلَّةٍ) ما ، وتَوَاصيهم بها ، مَعَ تكرُّر مواضيعها بتغايُرٍ في الأسماءِ والأوصاف !!

ونحنُ إذ نُنكِرُ (هذا) فإنَّنا لا نُريدُ به (صَرْفهم) عن قراءةِ هذه (المجلّة) أو تلك !! لا ، وإنّما نُريدُ مِنهم ولهم إعطاءَ كُلِّ ذي حقٍّ حَقَّه ، دونما غُلُوٍّ مُفرِط ، ولا تَقْصيرٍ مُفَرِّطٍ !! وتَرْكيزَ النَّظَر على حقائق الأُمور ، ذات الثمراتِ (الواقعيَّة) .

وَمَعَ كُلِّ هذا ـ وغيره ـ فإنكَّ ترى مِن هؤلاء وتسمعُ في كُلِّ حينٍ وحينٍ «رَمْيَ الآخَرين بالسطحيَّةِ ، وضيقِ الأُفُقِ والخُلُوِّ مِن فقه الدَّعوةِ ـ يقصدون به التنظيمَ الحِزبيَّ ـ »[1]، والجَهْل بواقع الأُمَّة وما يُدَبَّر لها !!

«كُلُّ هذا على مَذَابحِ التعصُّب الحِزبيّ ، وما يُفرِزُهُ مِن مفاهيمَ تضربُ في الصَّفِّ الداخليِّ للأُمَّةِ»[1] .

ثُمَّ إنَّ (هؤلاء) في (فقِههم) (الواقعيِّ) هذا ـ الذَّي (يَسْتَعْلُونَ) به على غيرهم ، و(يترفَّعون) به على (أَتْرابِهم)

---

(١) «حكم الانتماء» (ص ١٢٢ ـ ١٢٣) .

- إنَّما يتكلّمـون فيـه (بالظُّنون) ، ويضربون فيه (بالحَدْسِ) و(التَّخْمين) ! دونها أدْنى دَرَجـاتِ الجَزْم أو اليـقين !!

فما هي قـيمةُ ذلك (الاستعلاء) الذي يُصاحِبُه (قَدْحٌ) و(تهكُّمٌ) بالآخَرين ؟! ومـا هو موقعٌ هذا مِن الدِّين ؟

وَهُو - أَعْنـي ذلـكَ (الـفِقْه) - قـائمٌ عـلى مـثـل هـذه (التحليلات) الخياليّة الـظَّـنِّـيَّـةِ !!

لذا ؛ فإنَّك ترى (أصحابَ) هذا (الفقه الواقعِ) نفسهِ يتـضـارَبُونَ - فـيما بينَهم - في (توقُّعـاتهم) و(تحليلاتهم) الَّـتي إذا أصـدروهـا ، فـإنّما يُصْدِرونهـا و(يُصَدِّرونها) بثـوبِ الجَزْمِ وَلَبُوسِ اليقين !

ولا أَدَلَّ عـلى ذلـك مِن أقـوالِ بَـعْـضِ (الأفـاضـل) مِـمّـن (تأثَّـر) بـ(أُولَـئك) في (فتنةٍ) سياسيّةٍ عاتِـيَـةٍ عَصَفت بالأمّةِ :

(فـالبـعضُ) (جَزَم) بحُصـولِ هذه (الفتنةِ) ووقوعها ، بناءً على (مُعْطَياتٍ) قَدَّمها ، و (آراءٍ) بَيَّنها ! !

(والبـعضُ الآخـرُ) جَزَمَ بنقـيضِ قول (قَرينهِ)، وصرَّح بخلافهِ ، (مُتَمَثِّلاً) بقولِ ذلك الشاعِرِ :

زعَمَ الفَرَزْدَقُ أنْ سَيقْتُلُ مِرْبَعاً
أَبْشر بطولِ سَلاَمةٍ يا مِرْبَعُ ! !

فلماذا لم يقُل (ذاك) في (هذا) ما كرَّرَهُ (هَذا) و (ذاك) فيمن (أفتى) بخلاف ما هُم (رَأَوْهُ) و (رَجَّحُوه) في المسألةِ (ذاتِها) ! ؟

فقالوا (هُم) فيهم : «لم يفقهوا الواقع »! «لم يعرفوا المكائدَ» ! ! «جَهِلَوا ما دُبِّر لهم» ! ! !

فإنْ قال (ذاك) في (قَرينِهِ) : «هذا ما أدّاهُ إليه (نَظَرُهُ) في (الواقع) وفهمُه له» !

فلماذا لا يُقالُ الشيءُ نفسُه فيمن (عاكسْتُموهم) و (عارَضْتُموهم) في (فُتياهم) المخُالفةِ لكم ؟

أليس(الاحتمالُ) قائماً متُساويَ الطَّرفين : أنَّ هؤلاءِ (المُخالِفين) لكم انطَلَقُوا في (فُتياهم) مِن نَظَرٍ في (الواقع) أنتم لم (تتَنَبَّهوا) له ، لِفَوْرَةِ شَبَابِكم ، وشِدَّةِ حماسِكم ! ؟

أليس لهذا الكلامِ وَجْهٌ ، وله قَدْرُهُ وخَطَرُهُ ؟ !

فلماذا لم تتفكَّروا فيه ؟ ! فتنكشفَ لكم خوافيه !

أَمْ أنهَا (الغِرَّةُ) المُوديةُ بأصحابها إلى مَهاوي البُعْد عن الصَّوابِ ! ؟ و(التَّأثُّرُ) بأحوالِ أُولٰئك (القَوْمِ) !!

أمْ أنّه النَّظَرُ في اتِّجاهٍ واحدٍ ! ؟

أَم أنَّه الحُكْمُ(المُتَأَثِّرُ) بتقلُّب (الوَقَائعِ) و (الظُّروف) و (السِّياسات) ؟ !

أم أنّه (الفقْه الحَرَكيُّ) المخالفُ في (أصولِهِ) و(تطبيقاتهِ) لِقَوَاعِدِ منهج السَّلَف وأُسُسِه ! ؟

أم . . ؟ أم . . ؟

ثُمَّ ها هُنا تنبيهٌ مُهِمٌّ جداً مُتَعلِّقٌ بهذا «الفقهِ الجرائديِّ»، حيثُ يُقَسِّمُ (دُعاتُه) (العُلَماءَ) و (الدُّعاةَ) إلى قسمين : (عُلَماءِ شَرع) و (عُلَماء واقعٍ) ! ! وهذه ﴿ قِسْمَةٌ ضِيزى ﴾ تُشْبِهُ جداً ما قالَه العلاّمةُ الإمامُ ابنُ قَيِّم الجوزيّة رحمه الله تعالى ردّاً على بعض أربابِ (التقسيم) الاصطلاحيّ المُوقعِ أصحابَه بِثَمَراتٍ فجَّةٍ لاصلةَ لها (بشرعٍ) ولا (واقع)! !

قال رحمه الله [١] :

« وتقسيمُ (بعضِهم) طُرُقَ الحُكْم إلى شريعةٍ وسياسةٍ : كتقسيم (غيرهم) الدِّينَ إلى شريعةٍ وحقيقةٍ !

وكتقسيم (آخَرينَ) الدِّينَ إلى عَقْل و نَقْل !

وكلُّ ذلك تقسيمٌ باطلٌ ، بل السِّياسةُ والحقيقةُ والطريقةُ والعقلُ : كُلُّ ذلك ينقسمُ إلى قسمين : صحيحٍ، وفاسدٍ :

فالصحيحُ قِسمٌ مِن أقسامِ الشريعةِ ، لا قسيمٌ لها .

والباطلُ : ضِدُّها ومُنافيها .

وهذا الأصلُ مِن أهم الأُصولِ وأنفعها ، وهو مبنيٌّ على حرفٍ واحدٍ [٢] ؛ وهو عُمومُ رسالتِه ﷺ بالنسبةِ إلى كُلِّ ما يحتاجُ إليه العبادُ في معارفهم، و عُلومِهم ، وأعمالِهم، وأنّه لم يُحوِج أُمّتَه إلى أحَدٍ بَعْده، وإنما حاجتُهم إلى مَن يبلِّغُهم عنه ﷺ ما جاءَ به . . . فرسالتُه كافيةٌ

---

(١) «إعلام الموقّعين» (٤ / ٣٧٥)

(٢) دون كثير كلامٍ ! ! !

شافيةٌ عـامّةٌ ، لا تُـحْوِجُ إلى سِوَاهـا ولا يَـخْرُجُ نـوعٌ مِن أنـواعِ الحقِّ الذي تحتاجُ إليه الأُمّة في عُلـومِهـا وأعْمالها عمّا جاءَ بِهِ » .

.. هـذا كـلامُه ـ رحمـه الله ـ ، وهـو كـلامُ الـعـالِمِ الربّانـيِّ ، والفـقـيـهِ الخِرِّيت ، والمُعـايشِ لـ (واقع) أمّتـهِ ـ بحـقـيقتهِ ، دون (زُيوفهِ) ـ ، والإمامِ المُتَبَصِّـر بهدي الوَحْيَيْن الشريفَين، و المُنْتَهِجِ نَـهْجَ (السَّلف) بصفائِهِ ونَقَائهِ.

فـعليكم بالنَّهْج .. تَرْشُدوا .. وتَنْجَحُوا ..

ولا تَعْدِلوا عنه .. فـتـخسروا .. وتَنْدَموا ..

فليس ثمَّةَ (فِقْهٌ) نحـتـاجُه سـوى (فـقـهِ) كتاب اللهِ، وسُنةِ مجتباه ، بفهم سَلَف الأُمَّةِ الهُداة ..

فـلا تحرفنَّـكم عن (الواقع) بحـقـيـقـتـهِ و (واقعيته) زيوفُ (عاطفةٍ)أو انحرافاتُ (حمـاس) !

ولا تُغْوينَّكم عن سـداد (المنهج) حَذْلَقَـاتُ (خطيب) مِصْقَع ، أو (فـلـسـفـاتُ) (محُاضِـر) مُفَوَّه ،أو زخـارفُ (صَحَفيٍّ) بليغ ! !

واللهُ الهادي .

السادس : تلميعُ المبتدعة :

.. وهي مِن فَوَاقِرِ هؤلاء (الدُّعاة) ؛ فإنّهم - مع اعترافِهم (الإجماليِّ) بفضل العُلَماءِ السُّنِّيِّين ، ودُعاةِ الحقِّ السَّلَفيِّين - يُلَمِّعون بعض أهلِ (البِدَع) مِمَّن انتشر (صِيتُهم) واشْتَهَر ذِكْرُهُم ، بإضْفاءِ هالاتِ الثَّناءِ على (أَسْمائهم) ، وبإسْباغِ أوصاف التبجيل على (ألقابهم):

فيقولون : فلانٌ (الإمامُ الشهيد) ! !

ويقولون : فُلانٌ (حاملُ راية التجديد) ! !

ويقولون : فُلانٌ (ذو الرأي السَّديد والنَّظَر الرشيد)!

.. سُبْحانَ اللهِ ! كيف (أَمَّمْتُم) هذا !؟ وعقيدتُه معروفةٌ ، وصوفيتَه مَشْهورةٌ !

وكيف (جدَّدتُم) ذاكَ ، وعقلانيَّتُه في مُعالجةِ النصوص مَشْهودةٌ ، وعَصْرانيَّتُه في (فهم) الدلائلِ معهودةٌ ؟

وكيف (سدَّدتم) رأيَ الثالثِ و (رشَّدْتم) نَظَرَه ، وبُعْدُهُ عن (نَهْجِ السَّلَف) لا يخفى على أحَد ؟!

ما هي ضوابطُكم في كُلِّ ذلك ؟

ألأنّهم (سَلَفُكم) فيما ابْتَدَأْتموه (اليوم) ؟ !

ألأنّهم (قُدْوَتُكم) فيما أنتُم (مُتَلبِّسونَ) به ؟ !

.. يا (قَوْم) ! أُولئك أَنْفُسُهم قد عَرَفوا غَلَطَ مَنْهَجِهم ، و(خَلْطَهم) وخَطَأَهم ! وتنبَّهوا له ! أَفَلَمْ يَكْفِكم ذلك لِلْبُعدِ عمّا ابتدأتموه أنتم مِمّا هُم قد (فَرَغُوا) منه وأعْلَنُوا (إفلاسَهم) فيه ! ؟ عليكُم أنْ تُسْكِتوا (ألسنتكم) عن الثناء على هؤلاء ، وتَبْجيلِهم ، وتعظيمهم !

عليكُم أنْ تَكْبَحُوا جِماحَ (أَقْلامِكم) مِن كَيْلِ المَديحِ عَلَيْهِم !

.. كُفُّوا عن الالتقاءِ في (وَسطَ الطريق) مَعَ مِثل هؤلاء (الدُّعاة) و (المُفَكِّرين) جَمْعاً بين المُتناقِضات ! وتوْفيقاً بين المُتضاربات ! ! وتَجْميعاً لِلشَّتات ! ! !

يَنْبَغي عليكم يا (إخوانَنا) أنْ تَستفيدوا من (تجارِب) السَّابقين ، وأنْ تتأمَّلوا (واقِعَكم) مُقارنةً (بتارِيخِهم) و(تُراثِهم)! !

ورضي اللهُ عن ابن مسعودٍ القائل : «السَّعيدُ مَن وُعِظَ بغيرِه » (١) !

أفلا تَتَّعِظُون ؟ !

أفلا تتدبَّرون ؟ !

إذاً : عليكم النَّهْجَ .. فالْزَموه ..

عليكم أن تكون (دعوتكم) بَدْءً وانتهاءً «مِن القاعدةِ؛ وهي إحياءُ مدلولِ العقيدة الإسلاميّةِ في القلوب والعقولِ ، وتربيةُ مَن يقبلُ هذه الدعوةَ وهذه المفهوماتِ الصحيحةَ تربيةً إسلاميةً صحيحةً ، وعَدَمُ إضاعةِ الوقت في الأحداثِ السياسيّةِ الجاريةِ » (٢) ، إذْ قَدْ «كاد عَمَلُ الشَّبابِ الذي يعملُ في الحَقْل الإسلاميِّ يقتصرُ على الناحيةِ السِّياسيَّة التي ذَهَبَتْ بالجُزْءِ الأكبرِ مِن جُهودِهم مِمّا كبَّدهم الكثيرَ ،

(١) رواه مسلم (٢٦٤٥) .

(٢) «لماذا أعدموني» (ص ٢٨) سيِّد قُطب !

وأضاعَ عليهم الكثيرَ ، وكأنّه لم يَعُد في دعوةِ اللهِ إلاّ الناحيةُ السياسيةُ » (٢) !

.. فها هُم يعترفون (بِخَطَلِ) ما أقاموا عليهِ (دعوتَهم) !

وأنتم ... تسلَّمتم (الرايةَ) منهم عبرَ (المضمونِ) ذاتهِ ، و(الطريقةِ) نفسِها ، لكنْ (بإطارٍ) جديد .. وبتكْرارِ (عَنيد) و (عَتيد) ! !

فَمِن أَجْلِ ذا أنْتُم (تُلَمِّعون) أسماءَ هؤلاء ، وتُشِيدون بذكرهم ، وتُعَدِّدون (مآثِرَهم) !

فالواجبُ الَّذي لا حقَّ سِواه : بيانُ حقائق (هؤلاء)، والكشفُ عن (واقعِهم) المخالفِ لِكِتاب الله ، وسُنَّة رسولِهِ ﷺ ، ونهج سَلَفِ الأُمّة ، حتّى لا (يُغَرَّر) بهم أَحَدٌ، وحتّى لا (يَغْتَرَّ) فيهم أحدٌ !

وأمّا (تاريخهم) المَشْهود و (تُراثُهم) المَكْتوب : فهو

---

(٢) «الموهوب أستاذ الجيل» (ص.٩٠) عُمر التلمساني !

(مُثْقَلٌ) بألوانِ المخُالفات : العقيدية . . والفقهيّة . . و(الفكرية) . . حتّى السياسيّة ! !

فاختاروا لكم سَلَفاً غيرَهم . . وتخَيَّروا لأنفسكم قُدْوَةً سِوَاهُم . . . وانظروا لدعوتكِم أسوةً عَدَاهُم ! !

. . ها هو النَّهْجُ بين أيديكم ، فـ «عَضُّوا عليه بالنَّوَاجِذِ»[1].

❊ ❊



(١) هي وصيةُ النبيّ ﷺ (لنا) و (ولكم) عند (الاختلاف) و (التنازع) ، كما في « مسند أحمد » (٤ / ١٢٦) و « سنن أبي داود » (٢٦٧٦) و « سُنن ابن ماجه » (٤٢و ٤٣ و٤٤) و « سُنَن الترمزي » (٢٦٧٦) وغيرهم ، بالسَّنَد الصحيح عن العرباض بن سارية رضي الله عنه .

السابع : تَعْظيمُ أنفسِهم :

(هالَني) شريطُ تَسْجيلٍ أسْمَعَنيهِ بعضُ أفاضلِ الطَّلَبةِ فيه تَقْديمُ بَعْضِ(الأفاضِلِ) مِن (مُحَسِّني الألفاظ) للمتكلِّم في هذا الشريطِ!!

أبْتَدَأَ (المُقَدِّم) بالكلامِ !!!

فكان مِما قاله في وَصْفِ المُتَكَلِّم - فيما أذْكُرُ - : «. . . كالشمسِ ضياءً ، وكالقَمَر نوراً ، العالمِ الجليل ، والفقيه النَّبيل ، و. . و. . تكاد السموات . . » !حتَّى خِلْتُ (المُقَدَّم له) واحِداً مِن أكابرِ عُلماءِ عَصرْنا : إمّا ابن باز ، أو الألبانيّ ، أو ابن عُثَيْمين !!

. . وبعد قليل . . . فإذا بِهِ واحدٌ مِن (شبابِ) الدُّعاةِ ، يُعَظِّمُه (صاحبُه) ، بل (يذبحُه)[1] صاحِبُه (!)،

(١) لقولهِ ﷺ : «إيّاكم والتمادُحَ فإنَّه الذَّبْحُ» ، وهو حديثٌ صحيحٌ ترى تخريجه في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ، (رقم: ١١٩٦ ، ١٢٨٣) لشيخنا الألبانيّ .

وهو ساكِـتٌ عن ذٰلك ، لا يردُّهُ .. ولا يُنكرهُ !!

... ثـم (تكلَّم) هذا (المُحـاضِرِ) غـاضّاً (طَرْفَه) عن ذلـكـم التَّقْديم !! مُشيراً إلى تلك (الجـمـوع) التي (وَفَدت) إلـيـه مِن هُنـا و(هُناك) !! شـاكـراً لها (تَجَشّمَهـا) الصِّعـاب و(المَشَاقَّ) في سبيلِ ذلك !!

.. ثم .. إذا به ـ هداه الله ووفَّقـه لِـمَـرَاضِـيــهِ ـ (يـتـمـنّى) ـ صراحـةً ـ أنْ لـو كـانـت هـذه (الْجُمــوع) (مُـحْـتَـشِـدَةً) في (مجالس) غيرِهِ من (العُلَماء) و(الدُّعـاة)!!

فـقـلـتُ في نفسي : «لعلَّهم هُم (هُم) ، أولئك العُلَماء الكُبرَاء» !!

.. فإذا بقولِهِ يقطعُ علـيَّ تفكيري : « .. مِن أمثال الدُّكـتـور (فُلان) .. والدُّكـتور (فُلان) .. والداعيةِ الشابِّ (فُلان) و .. و ..» !!!

نـعــم ؛ (هُم) هُم ، لــكــنْ لـيـس أولئك الـكُبراءَ والعُلَماء! إنّما هـم أُولئك (الدّعـاة) مِن أَصْحابِهِ وأَتْرابِهِ !!

.. فـتـقـديـمُ (المُقَدَّمِ) و(تحـويلُ) (المقـدَّمِ له) ، كُلُّه (تَــهْــيِـئَـةٌ) يُرادُ منهـا و(لَـهَـا) ـ ولو مِـن غَـيْـرِ قَـصْـدٍ ـ

توجيهُ (الأنظار)، ليتلقى (الشَّبابُ) مِن (مَعينٍ) واحدٍ ، وتَصُبَّ (مُحاضراتهُم) و (مجلاَّتهُم) في (هَدَفٍ) واحدٍ !!

فتعظيمُ(أنفُسِهم) هو تأثُّرٌ بـ(مَنْهَجٍ) (مُوَجَّه) وتخطيطٍ (مُبَرْمج)!!

فتيقَّظوا لهذا . . وانتبهوا له . . واحْذَروا منه !! فإنَّ فيه (صَرْفاً) للوجوه ـ بطُرُقٍ مُلتويةٍ وأساليبَ غيرِ مُباشرةٍ ـ عن دُعاةِ (النَّهجِ السَّلَفيّ) وأصحابِ (المنهجِ السُّنّي) ، إلى غَيرِهم مِن دُعاةِ (السياسة المُعاصرة) وبُناةِ (الفقه الواقع) !!

وذاكَ التعظيمُ منهم (لأَنفُسهم) هو في الحقيقةِ (الْتِفَافٌ) على (زَيْدٍ) و(عَمْروٍ) مِمَّن (يُوَجَّهون) و(يُوَجِّهون) مُتَأَثِّرين بأولئك (القَوْمِ) أنفُسِهم !!!

. . وحينئذٍ يكونُ الوَلاَءُ والبراءُ (موصولاً) بهذا وذاك مِن أصحاب تلك المناهِجِ الدَّعوية (الحادثةِ) أو المنحرفة !!

وهذا أمر مُنْكَرٌ بمرّة ، ولا يجوزُ بحالٍ مِن الأَحوالِ، لا بصورةٍ مُباشرةٍ ، ولا غيرِ مُباشرةٍ ، إذ إنّه مِن المُقَرَّر عند أهل الإنصاف مِن العُلَماءِ أنّه «ليس لأحدٍ أن يُنَصِّبَ

لِلأُمَّةِ شخصاً[1] يَدْعو إلى طريقتِهِ ، ويُوالي ويُعادي عليها غَيرَ النبي ﷺ ، ولا يَنْصِبَ لهم كلاماً يُوالي عليه ويُعادي ، غير كلامِ اللهِ ورسولِهِ ، وما اجْتَمَعتْ عليه الأُمّة .

بل هذا مِن فِعْلِ أهلِ البِدَعِ الَّذين يَنْصِبونَ لهم شخصاً أو كلاماً يُفَرِّقونَ به بينَ الأُمّةِ ، يُوالون به على ذلك الكلامِ ـ أو تلك النِّسبة ـ ويُعادون» .[1]

فحينئذٍ ـ وحينئذٍ فقط ـ تكونُ الكلمةُ العُلْيا للحقِّ . .

ويكونُ الأَشْخاصُ . . والأَقْوالُ . . والجماعاتُ . . (وسائلَ) و(رُموزاً) يُتَوَصَّلُ مِن خلالها إلى (الحقِّ) ، لا أنْ تكونَ هي (بذاتها) (علامةً) على (الحقّ) !!

فالتعظيمُ في (صُورِهِ) و(أشكالِهِ) إنّما هو (للحقِّ) على اختلافِ أسماء حامليهِ وأَلقابِهِم !

---

(١) سواءٌ بعلمٍ منه ، أو بوسوسةٍ شيطانيّةٍ تسلّل إلى عقلِهِ وقلبِهِ ولسانِهِ !!

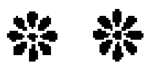
(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة» (٢٨ / ١٦٤) .

وليس هُناك (جَوْهَرٌ) يتمثَّل بهِ الحقُّ في أبهى صُورهِ إلاّ (منهجَ السَّلَف) بِقُوَّتِه .. وحُجَجِه .. وبراهينِه ..

إذْ «قد ثَبَتَ وجوبُ اتّباع السَّلَف رحْمة اللهِ عليهم بالكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ ، وَالعِبْرةُ دَلَّتْ عَلَيْهِ»[1].

والنُّصوصُ على ذلك أكثرُ مِن أن تُحْصىٰ وأوسعُ مِن أَنْ تُحْصَرَ .

واللهُ المُوَفِّق للسَّدادِ .



(١) «ذَمّ التأويل» (ص ٣٦) لابنِ قُدامةَ .

الثامن : الاتِّهاماتُ المنكورةُ والألْقابُ :

.. لَمّا تضعُفُ (الحُجَّةُ) ، وتَخلو الجَعْبَةُ من (الدَّليل)، ويَخْبو نورُ (البُرهان) : تَبْدَأُ (الأَوراق) بالاختلاط .. وتنقلبُ (الوسائلُ) (غايات) وتنعكسُ (الطرائقُ) (ثَمَرات) !!

«إنّه لَمِمَّا يَكْلِمُ الفُؤادَ أنْ تنتشرَ الأراجيفُ ، وتَكْثُرَ الأكاذيبُ، ويُلْصِقَ كُلُّ قَوْمٍ بغيرهم ما ليس فيهم»[1]؛ هَرَباً مِن ضياء (الحُجَّة) ، وفراراً مِن نُور (الدليل)، وخَوْفاً مِن قُوَّةِ البُرْهان !!

فيقولون ـ بكُلِّ صَرَاحةٍ ، بل (. . . . . .) ـ: «فُلان كذا .. وكذا» مِن اتِّهامات وَوَصْمٍ بِسِماتٍ لأَقْوى على كَتْبِها هُنا !!

ولماذا ؟

(١) «منهج الأنبياء ..» (١/١٢٤) محمد سرور ! .

جَزَعـاً .. وَهَلَعاً !!

جَزَعـاً مِن مُواجهة (الحقّ) !

وهَلَعـاً مِن مرارةِ (الواقع) !!

فَيُقـالُ لهؤلاءِ (بصراحةٍ) تَفُلُّ (لَسَانَـتَـهُم) :

أنـتـم في اتهامـاتِكـم لـلـعـالم الفُلاني ، أو (زيدٍ) من الدُّعاةِ، أَحَدُ رَجُلَين :

إمَّا مُشارِكٌ في (التُّهمة) مُتَلَبِّسٌ بها !

وإمّا كاذبٌ مُفْـتَـرٍ يتقوّل على عبادِ الله بغير حَقٍّ !!

«وَمَن قـال في مُؤْمِن مـا لـيـس فـيـهِ أَسْكَنَه اللهُ رَدْغَـةَ الْخَبَالِ حَتّى يَخْرُجَ مِـمّـا قالَ ، وليس بخارجٍ» (١) .

أفـلا يَقْرَعُ هذا الوعيدُ النبويُّ قلوبَ هؤلاء !

أفلا يَصُكُّ أسماعَـهم فتنصدعَ به عقولُهُم !

أفلا يَقِفُون .. وَيَـحْذَرون .. وَيهَابُون !!

---

(١) كما صَحَّ عنه ﷺ فـيما رواه أبو داود (٣٥٩٧) وأحمد (٢/ ٢٧) والبيهقي (٦/ ٨٢) عن ابن عُمر بسند صحيح

أَمِن أَجْلِ تمشيـة (واقِعِكم) تُطْلِقُونَ ألسنتكم في عبـاد اللـهِ مِن (الـعُلَمَاءِ) و(الـدُّعـاة) ، وتَلِغُون في أعـراضِهـم ، وتَتَّهِمونهم في دينِهم !؟

أَمِن أَجلِ نَشرِ (دعوتكم) تتكلَّمون ـ بغيرِ حَقٍّ ـ فيمن لا تَقْوَوْن على مُواجَهَتِهم ؟!

أَهَل أَخَذْتُـم عـن أَسْلافِكم (أولئك) تَطْبيـقَهم الأبتر لتلك القاعدة (الظالِـمِ) أهلُها : «الغاية تُبَـرِّرُ الوسيلة» !؟

.. ثُمَّ إِنْ (تَرَفَّع) (البـعضُ) مِن هؤلاءِ (الدُّعـاة) عن (دَفْـقِ) الاتهامـات ، و(قَذْف) الـعبـاراتِ : فإنَّكَ تَسْمَعُ (سَيْلاً) مِن (الإقْذاع) في الـقَوْلِ ، مُوَجَّهـاً نَحْوَ مَن (يَنْتَقِدُهُم) أو (يُحَذِّرُ) مِن مُخالَفاتِهِم و(انحرافاتِهِم) !

فتراهـم يـقـولـونَ : (الخـفـافـيش) .. (الخُلوف) (الـجُفاة) .. (جَهْل الواقع) .. (سطحيّة التفكير) !!

وهـي كـلـماتٌ يـسـتـطيـعُهـا كُلُّ أَحَدٍ بأدنى يُسْرٍ وأَقَلِّ كُلْفَةٍ !

ولـكـنَّ هـذا ليسَ مِن منهجِ السَّلَفِ ، إنَّما مَنْهَجُهم ـ

رحمهم الله ـ مُراقَبَةُ اللّسان في كُلّ ما يَصْدُرُ عنه ، أو يتحرَّكُ به ، وإقامةُ الحُجَّةِ على كُلِّ كلمةٍ تَنْبِسُ بها الشِّفاهُ!

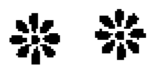
أَمّا إطْلاقُ (الاتِّهامات) ، وَإلْقاءُ جاسي (العِبَارات)، وتَسْريبُ (الظُّنون) الفاسِدات ، وإصدار (الأَلْقاب) القبيحات : فباطِلٌ مِن القول وَزُور . . .

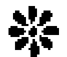
﴿وَاللهُ عَليمٌ بِذَاتِ الصُّدور﴾ .

وإذ نُذَكِّرُ ـ بعد كُلِّ هذا ـ فإنَّنا نُذَكِّرُ بقولِ النبيِّ ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ»، وفي روايةٍ : «كذباً . .»[1] .

فاللهَ اللهَ في إخوانِكم . .

واللهَ اللهَ في أنفسِكم . .





(١) رواه مسلمٌ (١/٨) في مقدّمة «صحيحِه» وانظر «السلسلة الصحيحة» (رقم : ٢٠٢٥) لشيخنا الألبانيّ .

التاسع : هُوَّةُ التكفير :

.. في غَمْرَةِ الظُّلْمِ الَّذي ذاقَ مرارتَه بعضُ الدُّعاةِ في سجونِ طَوَاغيتِ (العَبدِ الخاسِرِ) ، انطلقَ الشَّيْطانُ يُلَبِّس على عُقولِ بعضٍ مِن هؤلاءِ (الدُّعاةِ) لِيَحْرِفَهم عن جادَّةِ الحَقِّ الْقويم ، ويُبْعِدَهم عن صِرَاط الله المستقيم !

فَأَوْقَعَهم ذلك الشَّيْطانُ الرَّجيمُ في (حُبالاتِه) و(مَصَايدِه) جَرَّاءَ تلك الضُّغوطِ النَّفْسيَّةِ الّتي تعرَّضوا لها ، ونتيجةَ ذلك التَّعْذيبِ الجَسَديِّ الهائلِ الَّذي أَصابَهم ، وَصَعَقَ رِقَابَهم !!

فكانت (هُوَّةُ التَّكْفير) هي (أَعلى) ما (أرادهُ) لهم ! فَحَصَلَ ما الْكُلُّ (يَعْلَمُهُ) مِن تَكْفيرٍ مُلْقىً على عَوَاهنِه ، لا يُفَرِّق فيه بين حاكمٍ ومحكوم ، أو وَزيرٍ وأَمير ، أو بَعيدٍ وقَريب .. حتّى شَمِلَ ذلك (التَّكْفيرُ) طَبَقاتِ الناسِ كُلَّها ، وَدَرَجاتِهم جميعَها !

فكانَ ـ بَعْدُ ـ أَنْ أَنْكَرت (الأفكارُ) الإسلاميَّةُ كُلُّها

هذا (الفِكْرَ) الخارجَ عن الحقِّ ، البعيدَ عن الصَّوابِ !

... هـذا جُزْءٌ مِن تـاريـخ (الدَّعـوةِ الإسـلامـيَّةِ) بما حَوَاهُ مِن انحرافاتٍ في مَـفْـهومَيِ (الإيمان) و(الكُفْر) !!

«فـهـل يتَّعِظُ بذلك الدُّعـاةُ الّذينَ سَرَعـانَ مـا يَسْتَولي الـيـأْسُ عـلى نُفـوسِهـم ، ويُسِيئونَ الـظَّنَّ بـأَقْوامِهـم ، فـيـتسـرَّعونَ في إصْدار الأحكامِ الظالمةِ عليهم ، وينهزمونَ أَمامَ أيَّةِ صَدْمةٍ يتعرَّضونَ لها ؟!»[1] فتنطـلقَ ألسنتُهم مُكَرِّرةً تلك الصُّورةَ القـبـيـحـةَ مِن تاريخ (الدَّعـوة) تكفيراً للأُمَّةِ ، وانحرافاً عن الهُدى !!

.. ولـكـنَّ (الـنُّفـوسَ) قـد (عـافَتْ) ذلـك الـتـكفيرَ (المُطْلَقَ) وَرَفَضَتْهُ ، وَأَبَتْهُ ، ويَئِسَتْ مِن (جَدْواه) ، ومَـجَّـتْهُ !!

.. لـكـنَّ (الـشَّيْطـانَ) لَمْ يَـيْـأَسْ ، فَتَرَاهُ يَدْخُلُ على (الدُّعاةِ) مِن أبوابٍ (مُتَفَرِّقةٍ) لِيُوْصِلَه أحدُها إلى مُبْتَغاه !!

فَخَرَج على بَعْضِ (الـدُّعــاةِ) بِتكْـفيرِ ذي (ثَوْب)

---

(١) «منهج الأنبياء ..» (١/ ٥٧) محمد سرور !

جَديـدٍ، و(لَبـوسٍ) مُزَخْرَفٍ (تتـقـبَّلُهُ) تـلـك (النُّفـوسُ) العـاطِفيَّةَ ، و(تَسْتَسيغُه) تلك (الآذانُ) الحماسِـيَّةَ فلا تـمَجُّهُ !! ألاَ وهـو تكْفيرِ الحُكَّامِ (جُـمْلَةً) لأنهم (لا يحْكُمـون بما أنزل اللهُ)[1] !

وليس مِن شَكٍّ عند كُلِّ مَن (يفـقهُ) حقيقة هذا الدِّين أنَّ (الحُكْمَ بـغيرِ مـا أنـزلَ الـلـهُ) جُرْمٌ بَيِّـنٌ ، وضـلالٌ عريضٌ، وانحرافٌ عن الإسلامِ سحيق !!

وَلَسْتُ ـ هُنا ـ مُناقِشاً هذه المَسْأَلَةَ فِقْهاً وحـديثاً[2] وعـقـيـدةً ـ فلذلك رِسَالَةٌ مُفْرَدَةٌ بإذنِ اللهِ وتَوْفـيـقهِ ـ ولكنّي أنبهُ على نُقْطةٍ خطيرةٍ (يَـجُرُّ) إليـها مثلُ هذا (التَّفْكيرِ) ! ألاَ وهي (توسيعُ) دائرةِ (التَّكْفيرِ) ، دونما درايةٍ أو (شُعـورٍ) !! فَتُسْتَحَلُّ دِماءٌ . . وتُنْتَهَكُ أعراضٌ . .

إذ يلْزَمُ (المُكَفِّـرَ) لحـاكمٍ مـا (بِحُجَّةِ) حُكْمِه (بغيرِ مـا أَنْزَلَ اللهُ) : أنْ يُكَفِّرَ (نائبَ) هذا الحاكمِ ، و(وزيرَه) !

---

(١) وبـعـضُ هؤلاءِ (يتـلاعبُ) بالألفـاظ ، و(يلَبِّسُ) على الناس ، قـائلاً : «هذا (استبدالٌ) وليس مجرَّدَ حكمٍ بغيرِ ما أنزل اللهُ» ! وهو تدليسٌ باردٌ !!

(٢) انظر رسالتي «القول المأمون . . » .

.. وأن يُكَفِّرَ (مُستشاريهِ) و(أُمَراءَهَ) !

.. وأنْ يُكَفِّرَ (أعْوَانَه) و(أوليـاءَهَ) !

إذ يشتركونَ جميعاً بـ (الحُكم بغيرِ ما أنزل اللهُ) ! فما الفَرْقُ ـ على هذا ـ بين (الحاكم) وبينَ بَقِيَّةِ (جَوْقَتهِ)!؟

فـلماذا (تنـاقِضُونَ) أنفـسَـكـم ؟!وتـتـلاعَبُون بألْـفاظِكم ؟!

قد يُقَال : «لن نَقَعَ بهذا» !

فنقـولُ : ... اليـومَ .. أمّا (غـداً) وبعدَه : فسوف تَقَعـونَ ... وتُكَفِّرون .. لأن (الدَّخَلَ) عليكم (واحـدٌ)!! والسَّبَبَ المُكَفِّر به مُتَّحِدٌ !!

﴿يَا أيهَا الّذين آمَنُوا لا تَتَّبِعـوا خُطوات الشيطان﴾ [1]

فالشيطانُ لِكُلِّ (مُنحرفٍ) بالمِرْصادِ ..

لِيزيدَ انحرافَه ، ويبْعِدَ (شُقَّتَه) !

.. فـحِينئـذٍ ـ ونرجـو ألاَّ يَكُونَ ـ سـتقعُ (الواقعةُ) ، وتسـقُطونَ بمـا (فَرَرْتُم) منــه ! فَيُعيد(التاريخُ) نفسه !!

---

(١) جـاء هـذا التـحـذيرُ في أربعِ آياتٍ قُرآنيـةٍ فـتنبَّهـوا .

وتتجدَّدُ المآسي !!! وتزدادُ (المُواجهةُ) بكُلِّ مرارتِها و(سوادِها) و(ظَلامِها) !!!!

وهذا كلُّه هو (الثمرةُ) الوحيدة لِمَا «يقَعُ فيه بعضُ (الغُلاةِ) والمُتَشَدِّدين مِن تكفيرِ النَّاسِ بأدنى سَبَبٍ ـ مع زَعْمِهم بأنَّهم لا يُكَفِّرون أَحَداً ، ولكنَّ الشَّرْعَ هو الَّذي كَفَّرَهم ـ فهو انحرافٌ خطيرٌ سَبَبَتُهُ (الظُّروفُ النفسيَّةُ) والعواملُ الاجتماعيّة لطائفةٍ من أَصْحابِ الشخصيَّات (الحادّة) المُتَعَنِّتَة»[1] !!

إذاً : فالثمرةُ واحدةٌ (بينكم) وبين (أُولئك) الَّذين (أنكرتم) عليهم ، وَرَفَضْتُم (تكفيرَهم) و(تفكيرَهم) !!

فتأَمَّلُوا هذه (الهُوَّة) ، وانْظُروا (عَوَاقِبَها) ، وتفكَّروا (بنتائجها) : تَرْشُدوا .. وتَهْتَدوا ..

---

(١) «صفة الغُرَباء» (ص ٦٤) الأخ سَلْمان العودة .

العاشر : الاستدراجُ الماكر[1]:

مَن تلبّس بـ(التكتُّل الحِزْبّي) ، مَلْفوفاً بـ(السّريّة في العَمَل) ، مُتَصيِّداً (الدَّعوة الموسميّة) غارقاً بـ (الانشغال السياسيّ) ، قائمةً طريقتُه على (فقه الجرائد والمجلاّت) ، مُنْتَهِجاً سبيلَ (تَلْميع المبتدعة) مُقابِلاً ذلك بـ(تَعْظيم النَّفْس)، مُتَكلِّماً فِيمَن خالَفَهُ بألوانٍ مِن (الاتهامات المنكورة والألقاب) ساقِطاً في (هُوَّة التكفير) : فإنَّ هذا كُلَّه سبيلٌ (مُمَهَّدٌ) لاستِدْراجٍ ماكرٍ (يُخَطِّطُ) له الأعداءُ . . و(يُدَبِّرون) لِتَنْفيذِه بالَّليْل والنَّهار ، لِقَتْلِ (الكلمةِ) وَوَأْدِ (القلبِ) وكَبْتِ (الدِّين) !

أَلَم (تتنبَّهوا) لهذا و(تستيقظوا) لِشَرِّه في غَمْرَةِ (تحذيراتِكم) المُتوالية مِن شَرِّ (العِلْمانية) وخَطَرِ (الرَّأسمالية) وبلاء (الحَداثيّة) واستِفْحال (الديمقراطيّة) ؟!

---

(١) بعد كتابة هذا المبحثِ ، وقفتُ على مقالٍ في «مجلّة البيان» رقم ٤٣/ ٤٤ (ص ٣٣) بعنوان : «خُدعة الصَّدام المُتَعَجِّل» بقلم : محمد محمد بَدْري!

هل مِن (المعقول) أَنْ نكونَ نحنُ أنفُسنا (الطُّعْمَ) الذَّي يصيدُنا به (الصيَّاد) ويلُفُّنا (فيه) بِشِبَاكِه !؟

هل مِن (المُتَخَيَّل) أنْ نمشي بأَرْجُلنا وأقدامِنا إلى (الفَخِّ) الذي فيهِ (القَضَاءُ) علينا ، وَشَلُّ (قُوَّتنا) ؟!

بذاك السَّبيلِ المتقدِّم (نَقْضُهُ) .. فالجوابُ (الصَّارخُ) المُدَوِّي : نَعَم .. نَعَم !!

قد يقولُ قائِلٌ : لو مَشينا على (سبيلكم) أو اسْتَمْرَرْنا في (طريقنا) : فإنَّ هؤلاءِ (الأَعْداء) لن يَسْكُتوا .. ولن يتركونا !؟

فالجوابُ مِن وجهين :

الأَوّل : أنَّ (سبيلَنا) هو سبيلُ (السَّلَف) ، فلن يَضُرَّنا ـ بَعْدُ ـ ما يُصيبُنا (منهم) أو مِن (غيرهم) ! ﴿وَأَنَّ هذا صِرَاطي مُسْتَقيماً فَاتَّبِعُوه ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفرَّقَ بِكُمْ عن سَبيلِهِ﴾

الثاني : أنَّ (سبيلَنا) وسيلةٌ (جادَّةٌ) لِضَرْبِ (خُطَطِهِم) وإفشال (مكائِدهم) ! إذ لا مُسَوِّغ لهم ـ بحالٍ ـ أن يصفونا أو (يصفوكم) بـ (الإرهابيَّة) أو (التطرُّفِ)!

بينما (طريقُكم) يُناديهم و(يُنبِّهُهم) إلى المُضِيِّ قُدُماً في تنفيذِ (خُططهم) وتَطْبيق (مآرِبِهم) ! واستعداء (الآخَرين) عليكم !!

فسبيلُنا (يقطع) الطريق عليهم ، حتّى تقوى (القاعدة الإسلاميّة) وتنهضَ (الصحوة الإسلاميّة) ، ويشتدَّ عودُ (الشَّباب) الْغَضِّ الطريِّ !!

هذه ـ إخواني ـ صُورةٌ (واقعيّة) مِمّا ينبغي أَنْ يعيشَه المُسلمُ ويفهمَه في ضَوْءِ (فقه الواقع) المستمدِّ مِن كتابِ ربِّه، وسُنَّةِ نبيِّهِ ﷺ ، وبفهم سَلَفِ الأُمّة الصالحين ، رضوانُ اللهِ عليهم أجمعين .

وعليهِ ؛ فأقولُ :

«كم كانت الأحزابُ المبنيَّةُ على تَصْعيد النَّظْرةِ السِّياسيّةِ الخاليةِ مِن (القاعدةِ الإسلاميةِ الملتزمة) [وعلى نَهْجِ السَّلَف بيقين] : سَبَباً في التسلُّط على الإسْلاميِّين وحَصْدِهم ، وتَقَهْقُر الدَّعوةِ ، وقَهْر الدُّعاةِ ، وكَبْت الانطلاقةِ في الدَّعوةِ إلى الله تعالى» [1] .

(١) «حُكم الانتماء» (ص١١٤) .

وبالتَّالي فإنَّ الحقَّ الصُّراحَ أنَّه «لم يحدُث أنِ اجْتَمَعَتْ كلمةُ المسلمين في مُختلف بقاعِ الأَرْض على مذهبٍ مِن المذاهب ، أو حِزْبٍ مِن الأحزاب ، أو على كُتُب ومُؤَلَّفات عالم مِن العُلَماء ، [أو داعيةٍ أو كاتبٍ] [(١)] ، ولكنَّهم اجتمعوا واتَّحَدوا على كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولهِ ﷺ ، وما كان عليه الصحابةُ والتابعون رضوانُ اللهِ عليهم» [(٢)] ، وهم السَّلَفُ الصالح المشهودُ لهم ، والمُنْتَسَبُ إليهم ، والمَدْعوُّ إلى نَهْجِهم وطريقتِهم .

وكُلُّ خيرٍ في اتبِّاعِ مَن سَلَف

وكُلُّ شَرٍّ في ابتداع مَن خَلَف

واللهُ المُوَفِّق للصَّوابِ ، وهو سُبحانَه المُستعان .

---

(١) زيادةٌ يقتضيها (الواقعُ) !!

(٢) «دراسات في السيرة النبوية» (ص٧) محمد سرور !

تنبيهٌ .. و .. رجاءٌ ..

بعد الإيضاحات السابقة ، وحُجَج الحَقِّ التي هي للانْحِرافِ ماحِقَة ، أقولُ ، وبه سُبحانه أستعينُ :

قال الأوزاعيُّ : «مَن سَتَرَ عنّا بِدْعَتَه ، لم تَخْفَ عَلَينا أُلْفَتُهُ» [1] .

وقال حُذَيفةُ رضي الله عنه : «إنَّ الضَّلالةَ حقَّ الضَّلالةِ أنْ تعرفَ ما كُنْتَ تُنكر ، وتُنكر ما كُنتَ تعرفُ ، وإيَّاك والتلوُّن [2]» .

وقال مالكٌ رحمه الله : «كُلَّما جاءَنا رجلٌ أجدلُ مِن رجلٍ تَرَكْنا ما نَزَلَ به جبريلُ على مُحَمّدٍ ﷺ لِجَدَلِهِ ؟» [3] .

---

(١) رواه اللَّالَكائيُّ في « السُّنة » (٢٥٧) .

(٢) رواه ابن عبد البرِّ في « جامعه » (٢ / ٩٣)

(٣) رواه ابنُ بطَّة في « الإبانة » (٥٨٢) .

.. هذه كلماتُ النُّور .. مِن أئمّة السَّلَف، وَمَنَاراتُ الرُّشْدِ مِن أعْيانِ الأُمّةِ المُقتدىٰ بهم .. فاسْتضيئوا بنورها .. واهْتَدوا بوصاياهُم .. فَهُم القومُ لا يَشْقىٰ المُتَأسِّي بهم .. أو المُتَّبِعُ سبيلَهم .. واتْرُكوا مَن خالَفَهُم .. أو تنكَّب نَهْجَهم .. ولو زَخْرَفَ اللفظَ .. ونمَّق القولَ ...

﴿ وَإِذا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِن الأَمْنِ أَو الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلى الرَّسولِ وإِلى أُولي الأَمْرِ مِنْهُم لَعَلِمَهُ الَّذين يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنهُم وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم وَرَحْمَتُه لاتَّبَعْتُم الشَّيْطانَ إلاّ قليلاً﴾ .

.. راجياً ـ بعد هذا كُلِّه ـ أن يُؤْخَذَ كَلامي على خيرِ مَحْمَلٍ .. وأن يُفْهَمَ أَحْسَنَ فَهْمٍ .. فإذا لُوحِظَت شِدَّةٌ .. فهي نابعةٌ مِن الحُرْقةِ .. وإذا اسْتُشْعِرَ حَزْمٌ .. فهو ـ بمشيئةِ اللهِ ـ حزمُ الناصحِ الأمين ... إذ النصيحةُ هي أُسُّ الدِّين .. كما قال سيِّد المُرْسَلين، صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آلهِ

وصَحْبِهِ أجمعين[1] .

وَصَدَقَ الرسولُ ﷺ القائلُ :

«المؤمِنُ مِرْآةُ المؤمن، والمُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ، يَكُفُّ عليه ضَيْعَتَه ، ويَحُوطُه مِن ورائِهِ»[2]

ومِن نافلةِ القولِ أن أُؤَكِّدَ ـ هُنا ـ أنَّ جميعَ مَن (تكلَّمنا) عليهم ، أو (أشَرْنا) إليهم .. هُم إخوانُنا .. وأَحبابُنا .. فلهم حَقٌّ علينا .. ولنا حَقٌّ عليهم .. فلا تَضِيقُ صُدورٌ .. ولا تَطيشُ ظُنونٌ ..

.. والقلب مفتوحٌ للنُّصْح .. والأُذنُ تنتظرُ الإرشاد .. واللهُ الموفِّق للسداد .

.. والرُّجوعُ إلى الحقِّ .. خَيْرٌ مِن التَّمادي في نَقيضِهِ!

---

(١) رواه مُسلم (رقم ٥٥) عن تميمٍ الداريِّ رضي الله عنه .

(٢) رواه أبو داود (٤٩١٨) والبُخَاريُّ في «الأدب المُفْرَد» (٢٣٩) عن أبي هُريرةَ بسندٍ حَسَنٍ .

الخاتمةُ

﴿إنَّ هـذا الـقُرْآن يَـهْدي لِلَّتـي هـي أَقْوَمُ ويُبَشِّـرُ المؤمنين﴾ :

(١)

﴿يَا أَيُّـهـا الَّذين آمَنُوا لِـمَ تَقُولونَ مـا لا تَفْعَلُون كَـبُـرَ مَقْتـاً عند اللهِ أنْ تقولُوا ما لا تَفْعَلُون . إنَّ اللهَ يُـحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ في سَبيلِهِ صَفّاً كَأَنَّـهـمْ بُنْيَانٌ مَرْصوصٌ﴾ .

(٢)

﴿يُريـدونَ لِيُطـفِئُوا نُورَ اللهِ بـأَفْوَاهِهـم واللهُ مُتِمُّ نُورِهِ ولو كَرِهَ الكافِرُون﴾ .

﴿إنهَّم يكـيـدون كَيْداً وَأَكـيـدُ كَيْداً فَمَهِّلِ الـكـافـرِين أَمْهِلْهُم رُوَيْداً﴾ .

﴿وَإنْ تَصْبِـروا وتَتَّقُوا لا يَضُـرُّكُم كَيْدُهم شـيئاً﴾ .

﴿أَلَـمْ يَـجْعَل كَيْدَهُم فِي تَضْلِيل﴾ .

(٣)

﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عـلى الـطَّرِيـقَـةِ لأَسْقَيناهم مـاءً غَدَقـاً لِـنَفْتِـنَـهُـم فيـه . وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّه يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً﴾ .

﴿فَاسْتَقِـمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا﴾ .

(٤)

﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَـيِّـرُ مـا بـِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا مـا بِأَنْفُسِهِم﴾ .

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جميعاً ولا تَفَرَّقوا﴾ .

﴿وتَعَاوَنُوا عـلى الـبِـرِّ وَالـتَّقْوى وَلاَ تَعَاوَنـوا عَلَى الإِثْمِ والعُدْوانِ﴾ .

﴿وَالـعَصْـرِ . إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِـي خُسْـرٍ . إلاَّ الَّـذين آمَـنُوا وَعَـمِلُوا الـصَّالِحاتِ . وَتَوَاصَوْا بـِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّـبْـرِ﴾ .

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكم إلى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إلاّ

الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إلاّ باللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب﴾ .

(٥)

﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُم وَلَعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾

﴿واللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُم أَنِ الْحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِين﴾

[تَمَّ الكتاب ، بحمد المَلِكِ الوَهَّاب] (*)

(*) قال كاتبهُ ـ عفا اللهُ عنه ـ: فرغتُ مِن كتابتِهِ في ثلاثةِ أيّامٍ مُتتالية، آخرها بعدَ صلاة فجر يوم الأحد : الثاني مِن شهر جُمادى الثاني سنة (١٤١٢هـ) الموافق : ١٩٩١/١٢/٨ ، والله الهادي .

ثم زِدْتُ عليه ، وراجعتُه ، و(دقّقْتُه) في مجالسَ أخرىٰ مِن أيام عدّة ، آخرها اليوم الأخير من شهر جُمادىٰ الثاني سنة (١٤١٢هـ) .

محتويات الكتاب